الينابيع

عَنترة بن شدّاد

عَبلَة والصَّبي المُقاتِل

فاروق خورشيد

مكتبة لبنان ناشرون

عنترة بن شداد

عبلة والصبي المقاتل

فاروق خورشيد

إشراف : الأستاذ الدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، ١٩٩٦
١٠ (أ)، شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي ، الجيزة - مصر

يطلب من : **شركة أبو الهول للنشر**
٣ شارع شواربي بالقاهرة ت : ٣٩٢٤٦١١٦ ، ٣٩٣٥٦٠٨
١٢٧ طريق الحرية ، فؤاد سابقا ، - الشلالات ، الإسكندرية ت : ٤٩٢٤٨٣٩

جميع الحقوق محفوظة ، لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه
أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٦

رقم الإيداع ١٩٩٥/٧٠٩٩
الترقيم الدولي ISBN ٩٧٧-١٦-٠١٧٥-X

تصميم : أحمد سامي

رسوم : شكري هشام

طبع في دار نوبار للطباعة ، القاهرة

الينابيع

عنترة بن شداد

عبلة والصبي المقاتل

فاروق خورشيد

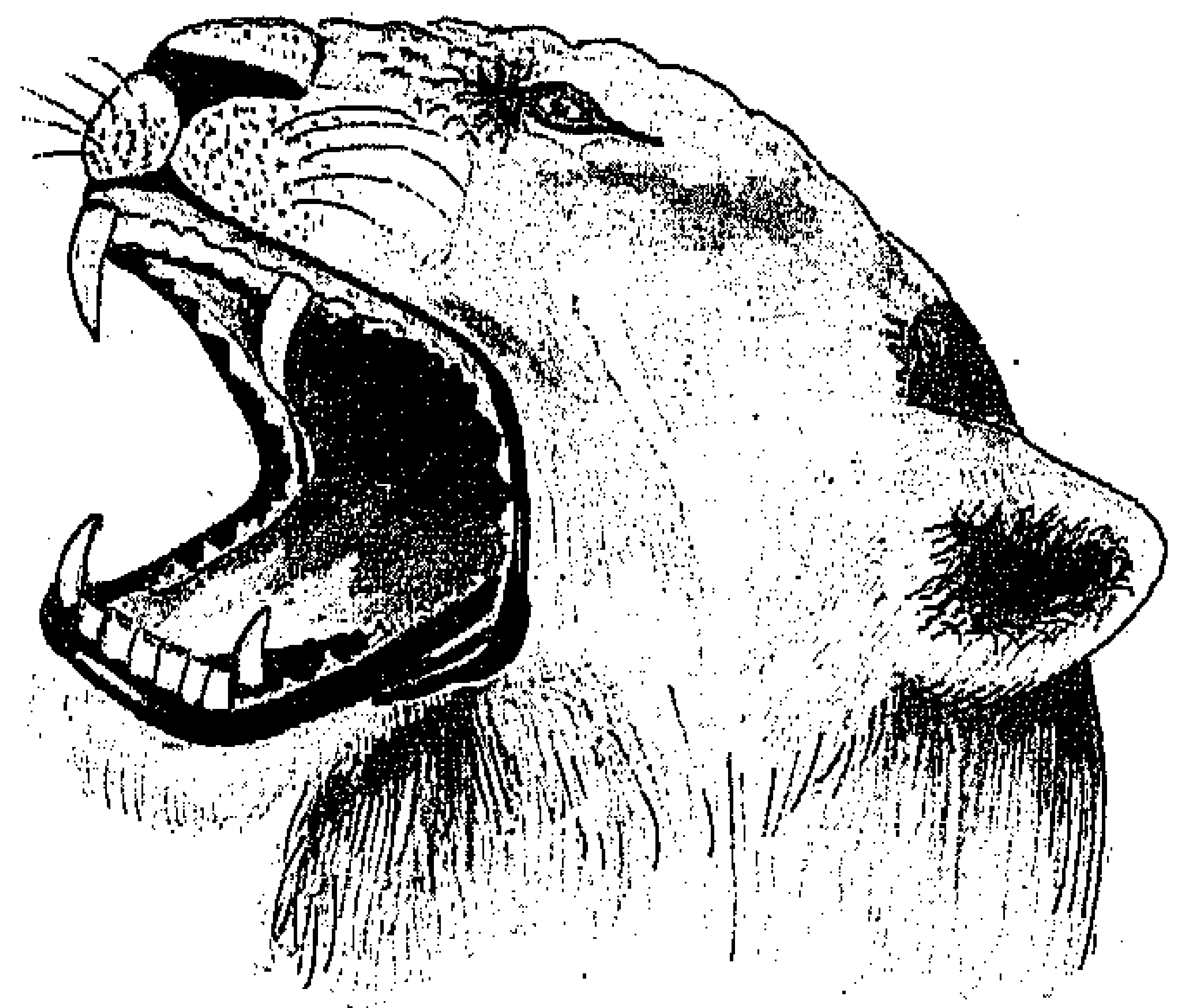

الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

« عَنْتَرَةُ » يُواجِهُ الأخْطارَ

اِرْتَفَعَتِ الصَّيْحَةُ في كُلِّ أَرْجاءِ « الحِلَّةِ » وَ مَضارِبِ «عَبْس» : « لَقَدْ ماتَ العَبْدُ « ضاجِرٌ » ، قَتَلَهُ العَبْدُ « عَنْتَرَةُ بْنُ شَدّاد » .»

لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنِ الَّذي جاءَ بِالخَبَرِ ، وَلَكِنَّهُ كانَ عَلى كُلِّ لِسانٍ : قالَتْهُ أَسْماءُ لِعَبْلَةَ فَهَرَبَ الدَّمُ مِنْ وَجْهِها وَانْدَفَعَتِ الدُّموعُ إلى عَيْنَيْها ، وَ هِيَ تَقولُ : « سَيَتَعَرَّضُ « عَنْتَرَةُ » لِغَضَبِ عَمّي « شَدّاد » ؛ فَهُوَ ما سَكَتَ عَنْهُ بَعْدَ قَتْلِهِ العَبْدَ « داجِياً » إلّا إكْراماً لِلْمَلِكِ زُهَيْرٍ .»

ضَحِكَتْ أَسْماءُ في تَشَفٍّ وَ هِيَ تَقولُ : « مُنْذُ تَدَخَّلَ «مالِكُ بْنُ زُهَيْر» لِصالِحِ «عَنْتَرَة» ، وَ مُنْذُ تَوَسَّطَ « زُهَيْرُ ابْنُ جُذَيْمَةَ » عِنْدَ ابْنِهِ « شاس » حَتّى لا يَقْتُلَ « عَنْتَرَةَ »، وَ « عَنْتَرَةُ » يَظُنُّ أَنَّهُ أَصْبَحَ سَيِّداً كَالسّادَةِ ، وَنَسِيَ أَنَّهُ لا يَزالُ عَبْداً ، وَ أَنَّ أُمَّهُ زَبيبَةَ لا تَزالُ جارِيَةَ « شَدّاد » .»

نَظَرَتْ « عَبْلَةُ » إِلَيْها في دَهْشَةٍ ، وَ ظَلَّتْ صامِتَةً لِلَحَظاتٍ

لا تَجِدُ الكَلِماتِ المُسْعِفَةَ ، ثُمَّ قالَت في بُطْءٍ وَهِيَ تَنْظُرُ إلى عَيْنَيْ أسْماءَ : « كُنْتُ أظُنُّ أنَّكِ تُحِبِّينَ ‹‹ عَنْتَرَةَ ›› ؟»

ضَحِكَتْ « أسْماءُ » وَهِيَ تَقولُ : « كُنْتُ أعْطِفُ عَلَيْهِ وَأرْثي لَهُ وَ لأمِّهِ ، وَ لَكِنْ حينَ أصبَحَ مَغْروراً وَ مُتَكَبِّراً ، وَحينَ بَدَأَ يُرْهِقُ الخَيْلَ رُكوباً وَرَكْضاً ، وَ حينَ بَدَأَ يَسْقيكِ أنْتِ اللَّبَنَ ثُمَّ يُعْطيني فَضَلاتِ الإناءِ – لَمْ أعُدْ أحِسُّ في نَفْسي الرِّثاءَ لَهُ وَ لأمِّهِ .»

احْمَرَّ وَجْهُ « عَبْلَةَ » خَجَلاً ، وَ أطْرَقَتْ بِرَأسِها وَهِيَ تَقولُ: « اللَّبَنَ ! وَ لَكِنَّهُ يُعْطيهِ لَنا جَميعاً .»

قالَتْ « أسْماءُ » : « وَ لَيْسَتِ الحِكايَةُ حِكايَةَ اللَّبَنِ ، وَإنَّما هُوَ يَقِفُ كُلَّ غُروبٍ لِيَرْقُبَني وَأنا أمَشِّطُ لَكِ شَعْرَكِ عِنْدَ الغَديرِ وَ في عَيْنَيْهِ نَظْرَةٌ .»

كانَ صَوْتُ « عَبْلَةَ » ضَعيفاً وَهِيَ تَقولُ :« نَظْرَةٌ! لِمَنْ ؟»

قالَتْ « أسماءُ » ، وَ هِيَ بَيْنَ العُبوسِ وَ الضَّحِكِ العابِثِ : « كأنَّكِ لَمْ تَلْحَظي هَذِهِ النَّظَراتِ .»

وَأطْرَقَتْ «عَبْلَةُ» بِرَأسِها في حَياءٍ ، ثُمَّ أسْرَعَتْ تَجْري إلى داخِلِ الدّارِ وَهِيَ في فَيْضٍ مِنَ المَشاعِرِ المُتَبايِنَةِ بَيْنَ الخَوْفِ

عَلى «عَنْتَرَةَ» ، وَ الدَّهْشَةِ مِنْ حَديثِ «أسْماءَ» وَشَيْءٌ يرْتَعِشُ في داخِلِها ، مِمّا ذَكَرَتْهُ عَنْ نَظَراتِ «عَنْتَرَةَ» إلَيْها وَهِيَ تُمَشِّطُ شَعْرَها الأسْوَدَ النّاعِمَ عِنْدَ الغَديرِ .

***

وَ نقَلَ « شَيْبوبٌ » الخَبَرَ لأُمِّهِ « زَبيبَةَ » ، وَ شَهِقَتْ في رُعْبٍ مَلأَ قَلْبَها وَ قالَتْ : « أنا السَّبَبُ ، أنا السَّبَبُ .»

وَ نَظَرَ إلَيْها « شَيْبوبٌ » في دَهْشَةٍ ، وَ هِيَ تَقولُ في نُواحٍ وَ كَأنَّها تُحَدِّثُ نَفْسَها :« أنا الَّتي أخْبَرْتُهُ أنَّ عَبْدَ « الرَّبيعِ ابْنِ زِيادٍ » يُخْبِرُ أباهُ كُلَّ لَيْلَةٍ بِما يَفْعَلُهُ في المَرْعى ، مِنْ مِرانٍ عَلى الخَيْلِ ، وَ جَرْيٍ بِالرُّمْحِ ، وَ ضَرْبٍ بِالسِّهامِ ، وَ بِالأمْسِ ضَرَبَهُ أبوهُ حَتّى كادَ يُفْقِدُهُ الوَعْيَ . وَأخْبَرْتُهُ ، أنَّ العَبْدَ « ضاجِراً » هُوَ السَّبَبُ ، هُوَ وَ « سُمَيَّةُ » الَّتي كانَتْ تُخْبِرُهُ بِأمْرِ نَظَراتِ « عَنْتَرَةَ » « لِعَبْلَةَ » ... أنا السَّبَبُ .. أنا السَّبَبُ .»

قالَ « شَيْبوبٌ »: « كَفى لَوْماً لِنَفْسِكِ ،« عَنْتَرَةُ » كانَ سَيَعْرِفُ الأمْرَ ، سَواءٌ أخْبَرْتِهِ أنْتِ بِهِ أمْ لا . « ضاجِر » كانَ يَكْرَهُ « عَنْتَرَةَ » مُنْذُ قَتَلَ صَديقَهُ « داجِياً » ، وَ ما كانَ لَهُ

أنْ يوقعَ بَيْنَ عَنْتَرَةَ وَ أبيهِ ، ثُمَّ هُوَ عَبْدُ « الرَّبيعِ بْنِ زِيادٍ » ، وَ عِمارَةُ أخوهُ لا يُطيقُ وُجودَ « عَنْتَرَةَ » في الخِيامِ ، بِالقُرْبِ مِنْ « عَبْلَةَ » . لِماذا لَمْ تَحْكِ الخالَةُ سُمَيَّةُ لِشَدّادٍ عَنْ نَظَراتِ « عِمارَةَ » « لِعَبْلَةَ » ، وَ عَنْ تَعَقُّبِهِ لَها في كُلِّ مَكانٍ ؟»

نَظَرَتْ « زَبيبَةُ » إلى « شَيْبوب » ، وَ قالَتْ : « وَ لَكِنَّ عِمارَةَ سَيِّدٌ مِنْ ساداتِ عَبْس ، يا « شَيْبوبُ » ، وَهُوَ كُفْءٌ « لِعَبْلَةَ » بِنْتِ مالِك . أمّا « عَنْتَرَةُ » ...»

ضَحِكَ «شَيْبوبٌ» ضِحْكَةً جافَّةً وَ هُوَ يَقولُ :« « عَنْتَرَةُ » عَبْدٌ ، مِثْلي وَ مِثْلُ « جَرير » ، وَ مِثْلُ ...»

« نَعَم وَ مِثْلي .»

سَكَتَ « شَيْبوبٌ » لَحَظاتٍ ، ثُمَّ قالَ : « لا أقْصِدُ إيلامَكِ يا أُمُّ ، وَ لَكِنَّ « عَنْتَرَةَ » يُحِسُّ لِنَفْسِهِ إعْزازاً مِمّا يَجْعَلُهُ لا يَقْبَلُ هَذا الوَضْعَ .»

صاحَتْ « زَبيبَةُ » فَجْأةً وَ قَدْ لَمَعَتْ عَيْناها في غَضَبٍ : « وَ لا أنا ، يا « شَيْبوبُ » ، وَ لا أنْتَ وَ لا « جَريرٌ » .»

ثُمَّ هَدَأَ غَضَبُها فَجْأةً كَما اشْتَعَلَ فَجْأةً ، وَ أطْرَقَتْ بِرَأسِها

في استِسْلامٍ وَ هِيَ تَقولُ :« وَ لَكِنَّهُ قَدَرُنا ، يا «شَيْبوبُ» ، وَ لَنْ يَسْتَطيعَ أحَدٌ أنْ يُغَيِّرَ القَدَرَ .»

رَدَّ « شَيْبوبٌ » : « « عَنْتَرَةُ » يَقولُ إنَّ هَذا القَدَرَ صَنَعَهُ الفُرْسانُ القادِرونَ الَّذينَ أسَروكِ أوَّلَ الأمْرِ ، وَ الَّذينَ وَضَعوكِ مَكانَ الإماءِ ، وَ وَضَعونا مَوْضِعَ العَبيدِ .»

« هَذِهِ شَريعَتُهُمْ في الحَرْبِ ، يا « شَيْبوبُ » .»

« ما شَرَعَتْهُ الحَرْبُ تُغَيِّرُهُ الحَرْبُ .»

رَفَعَتْ « زَبيبَةُ » رَأسَها وَهِيَ تَقولُ في حِدَّةٍ : « ماذا تَعْني ، يا « شَيْبوبُ » ؟»

قالَ « شَيْبوبٌ » : « مِنْ زَمَنٍ وَ أنْتِ تَقولينَ لَنا حينَ يَجْمَعُنا الخِباءُ عِنْدَ النَّوْمِ : « لَوْ كُنْتُمْ كِباراً ، وَ لَوْ كُنْتُمْ فُرْساناً يَهابُكُمْ باقي الفُرْسانِ ، ما كانَ هَذا حالي وَ لا حالَكُمْ .» ثُمَّ تَبْكينَ .»

كانَ صَوْتُ « زَبيبَةَ » خافِتاً وَهِيَ تَقولُ :« وَ لَكِنَّكُمْ ما زِلْتُمْ صِغاراً ، يا «شَيْبوبُ» ، وَ«عَنْتَرَةُ» هُوَ أصْغَرُكُمْ سِنًّا.»

ضَحِكَ « شَيْبوبٌ » وَهُوَ يَقولُ : « أصْغَرُنا هَذا قَتَلَ أقْوى

عَبْدَيْنِ مُخيفَيْنِ مِنْ عَبيدِ عَبْسٍ كُلِّها ، عَبْدِ شاس ، وَعَبْدِ الرَّبيعِ بْنِ زِياد ، وَ لَيْسَ هُناكَ مِنَ العَبيدِ مَنْ لا يَخافُهُ وَيَخْشاهُ .»

قالَتْ « زَبيبَةُ » : « أنا السَّبَبُ مَرَّةً أخْرى في كُلِّ هَذا ، فَقَدْ مَلأتُ رَأسَهُ بِالحَديثِ عَنْ عَجْزي وَقِلَّةِ حيلَتي ، وَ عَنْ حُقوقِ الرِّجالِ وَ الفُرْسانِ ، حَتّى ذَهَبَ يَصْنَعُ مِنْ نَفْسِهِ رَجُلاً وَفارِساً، وَ هُوَ ما زالَ في هَذِهِ السِّنِّ الصَّغيرَةِ . وَ الآنَ وَقَعَ في المَحْظورِ ، وَ لَنْ يَنْجُوَ مِنِ انْتِقامِ « الرَّبيعِ » أوْ مِنْ عِقابِ أبيهِ .»

قالَ « شَيْبوبٌ » : « لَقَدْ فَعَلَ ما أحَسَّ أنَّهُ واجِبٌ .»

صاحَتْ « زَبيبَةُ » وَ هِيَ تَقولُ :« هُوَ صَغيرٌ عَلى المَوْتِ.» وَ اشْتَدَّ بُكاؤُها وَهِيَ تَهْمِسُ بَيْنَ دُموعِها :« وَ أنا السَّبَبُ .»

***

نَقَلَ « عَنْتَرَةُ » الخَبَرَ بِنَفْسِهِ إلى « مالِكِ بْنِ زُهَيْر » الَّذي اسْتَمَعَ إلَيْهِ صامِتاً وَ هُوَ يَحْكي لَهُ عَنْ تَحَرُّشِ « ضاجِرٍ » بِهِ ، وَ مُحاوَلَتِهِ الدّائِمَةِ السُّخْرِيَةَ مِنْهُ في كُلِّ مُناسَبَةٍ ، ثُمَّ

كَيْفَ وَشى بِهِ لأبيهِ « شَدّاد » . وَحَكى لَهُ لِقاءَهُ « بِضاجِر» ، ذَلِكَ اللِّقاءَ الَّذي لَمْ يَسْتَمِرَّ طَويلاً، فَقَدْ ذَهَبَ إلَيهِ « عَنْتَرَةُ » يَلومُهُ عَلى ما قالَهُ لأبيهِ ، وَ ضَحِكَ « ضاجِرٌ » في وَجْهِهِ ، وَ قالَ لَهُ إنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا لأبيهِ ، سِوى أنَّهُ يَخْشى أنْ يَقَعَ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِ أحَدِ الخُيولِ فَيُدَقَّ عُنُقُهُ ، فَهُوَ ما زالَ طِفْلاً أسْوَدَ ، مِنَ العَبيدِ الَّذينَ يَقْضونَ وَقْتَهُمْ في خِدْمَةِ النِّساءِ وَ الفَتَياتِ . ثُمَّ أمَرَهُ أنْ يَبْتَعِدَ وَ هُوَ يَرْفَعُ عَصاهُ لِيَضْرِبَهُ بِها . وَ لَمْ يَشْعُرْ « عَنْتَرَةُ » إلّا وَ هُوَ يَهْجُمُ عَلى « ضاجِر » ، وَ يَنْزِعُ عَصاهُ مِنْ يَدِهِ ، ثُمَّ يَضْرِبُهُ بِها ، فَتَهْوي الضَّرْبَةُ عَلَيْهِ عَنيفَةً ، وَ يَقَعُ مُضَرَّجًا في دمائِهِ ، وَ قَدْ أسْلَمَ الرّوحَ .

قالَ « مالِكٌ » وَهُوَ يُحيلُ بَصَرَهُ إلى « عَنْتَرَةَ » : « ضَرْبَةُ العَصا ، وَ وَراءَها قُوَّةٌ كَقُوَّتِكَ هَذِهِ ، كَفيلَةٌ بِقَتْلِهِ .»

قالَ « عَنْتَرَةُ » : « وَ لَكِنّي لَمْ أكُنْ أقْصِدُ قَتْلَهُ .»

قالَ «مالِكٌ» :« حاذِرْ مِنَ الآنَ وَأنْتَ تَسْتَعْمِلُ قُوَّتَكَ .»

قالَ « عَنْتَرَةُ » : « لَقَدْ أغْضَبَتْني وِشايَتُهُ بي لَدى أبي ، وَ وَقاحَةُ «« ضاجِر »» في مُخاطَبَتي .»

فَتَنَهَّدَ « مالِكٌ » وَ قالَ : « سَأحاوِلُ أنْ أجِدَ حَلًّا لِهَذِهِ

القَضِيَّةِ ، وَ لَوْ أنَّ الأمْرَ فيها مَحْفوفٌ بِالمَشاكِلِ .»
وَ نَهَضَ مُتَّجِهاً إلى مَجْلِسِ أبيهِ المَلِكِ « زُهَيْر »

***

عِنْدَما دَخَلَ « مالِكٌ » مَجْلِسَ أبيهِ زالَ قَلَقُهُ لَمّا وَجَدَ « الرَّبيعَ » وَ « شَدّاداً » في المَجْلِسِ ، فَحَيّا الجالِسينَ، وَ أخَذَ مَكانَهُ إلى جِوارِ أبيهِ ، وَ أخَذَ في الحَديثِ الدّائِرِ بَعْضَ حينٍ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلى الرَّبيعِ قائِلاً : « في كُلِّ بَني عَبْسٍ ، يا رَبيعُ، لا أجِدُ أحَداً يَفْهَمُ في قيمَةِ العَبيدِ مِثْلَكَ ، فَعَبيدُكَ أنْتَ أحْسَنُ العَبيدِ في بَني عَبْسٍ .»

اِبْتَسَمَ الرَّبيعُ في ارْتياحٍ ، وَ قالَ : « عَبيدي عَبيدُكَ أيُّها الأميرُ « مالِكٌ » ، إنَّما الأمْرُ كُلُّهُ ، أمْرُ العِنايَةِ بِهِمْ وَتَنْظيمِ أمورِهِمْ .»

قالَ « مالِكٌ » : « فَلَوْ طَلَبْتُ عَبْداً مِنْ عَبيدِكَ ، أ تَبيعُهُ لي ؟»

ضَحِكَ « الرَّبيعُ بْنُ زِياد » ، وَ هُوَ يَقولُ : « بَلْ أهَبُ لَكَ ما شِئْتَ مِنْ عَبيدي ، أيُّها الأميرُ « مالِكٌ » ، فَرِضاؤُكَ عَنْهُمْ مَديحٌ لي لا أسْتَحِقُّهُ .»

قالَ « مالِكُ بْنُ زُهَيْر » :« عَبْدُكَ ضاجِرٌ، إنّي مُعْجَبٌ بِهِ .»
رَدَّ عَلَيْهِ الرَّبيعُ عَلى الفَوْرِ قائِلاً : « فَهُوَ لَكَ .»
« ما كُنْتُ لأَقْبَلَ هَدِيَّةً وُهِبَتْ في حَماسَةِ الانْفِعالِ .»

ضَحِكَ «الرَّبيعُ» ، ثُمَّ قالَ :« أَنْتُمْ تَعْرِفونَ صِدْقَ كَلِمَتي . وَ قَدْ وَهَبْتُ العَبْدَ « ضاجِراً » لِلأَميرِ «مالِكِ بْنِ زُهَيْر» هِبَةَ كَريمٍ لا تُرَدُّ لَهُ هِبَةٌ ، وَ لا تُنْتَقَصُ لَهُ كَلِمَةٌ .»

قالَ المَلِكُ « زُهَيْرٌ » : « لا يَشُكُّ أَحَدٌ في كَلِمَةٍ يَقولُها « الرَّبيعُ بْنُ زِياد » ، وَ لا يَرُدُّ أَحَدٌ هَدِيَّةً قَدَّمَها .»

ضَحِكَ « مالِكٌ » ثُمَّ قالَ : « أَنا لَمْ أَشُكَّ لَحْظَةً في صِدْقِ كَلِمَةِ « الرَّبيعِ » ، وَ إِنَّما كُنْتُ أُريدُ أَنْ تَكونوا شُهوداً عَلى هَذِهِ الهَدِيَّةِ .»

قالَ « شَدّادٌ » :« لِماذا هَذا الحَديثُ عَنْ « ضاجِر » ؟»

قالَ « مالِكٌ » : « أَبَداً ، لا شَيْءَ ، فَقَطْ لَقَدْ ماتَ العَبْدُ « ضاجِرٌ » ، وَ أَنا أَهَبُ دَمَهُ لِمَنْ قَتَلَهُ .»

صاحَ الرَّبيعُ : « « ضاجِرٌ » قُتِلَ ! الوَيْلُ لِمَنْ قَتَلَهُ !»

قالَ « مالِكٌ » : « لِماذا الاهْتِمامُ بِمَوْتِهِ ، أَوْ عَنْ قَتْلِهِ؟ أَلَمْ تَسْمَعْني أَقولُ إِنَّني وَهَبْتُ دَمَهُ لِقاتِلِهِ .»

عادَ « الرَّبيعُ » يَقولُ في انْفِعالٍ :« لا بُدَّ مِنْ الانْتِقامِ لَهُ .»

قالَ « مالِكٌ » : « لَمْ يَعُدْ عَبْدَكَ لِتَهْتَمَّ بِالانْتِقامِ لَهُ ، لَقَدْ وَهَبْتَهُ لي ، وَ المَجْلِسُ هُنا شُهودٌ عَلَيْكَ .»

قالَ الرَّبيعُ : « لَقَدْ خَدَعْتَني ، يا «« مالِكُ »» ، كُنْتَ تَعْرِفُ أنَّ «« ضاجِراً »» قَدْ قُتِلَ ، وَ كُنْتَ تُحاوِلُ أنْ تَحْمِيَ قاتِلَهُ ، وَ هَذا يُحِلُّني مِنْ ...»

قاطَعَهُ المَلِكُ « زُهَيْرٌ » قائِلاً في حِدَّةٍ : « هَذا لا يُحِلُّكَ مِنْ شَيْءٍ ، يا «« رَبيعُ »» .. وَ أيّاً كانَ غَرَضُ «« مالِك »» مِنْ طَلَبِهِ «« ضاجِراً »» كَهَدِيَّةٍ ، فَأنْتَ قَدْ أهْدَيْتَهُ لَهُ أمامَنا جَميعاً ، وَ لا يَحِقُّ لَكَ لأيِّ سَبَبٍ أنْ تُخْلِفَ كَلِمَتَكَ .»

لَمْ يَقُلِ « الرَّبيعُ » شَيْئًا ، وَلَكِنَّ « شَدّاداً » انْدَفَعَ يَقولُ : « مَنِ القاتِلُ الَّذي تَحْميهِ ، يا «« مالِكُ بْنُ زُهَيْر »» ؟»

قالَ « مالِكٌ » :« وَما الفَرْقُ إنْ كانَ زَيْداً أوْ عُبَيْداً ، لَقَدْ أخْطَأَ «« ضاجِرٌ »» في حَقِّ إنْسانٍ شَهْمٍ لا يَرْضى الهَوانَ ، وَ تَعاتَبا فَتَعارَكا ، وَ لَمْ يُقَدِّرْ « ضاجِرٌ » قُوَّةَ مَنْ أساءَ إلَيْهِ ، وَ كانَتِ النَّتيجَةُ أنَّهُ دَفَعَ حَياتَهُ ثَمَناً لِنَميمَتِهِ وَ وَقيعَتِهِ ، ثُمَّ ثَمَناً لِجَهْلِهِ بِقيمَةِ مَنْ يُواجِهُهُ وَ اسْتِهْتارِهِ بِهِ .»

شَحَبَ وَجْهُ « شَدّادٍ » ، وَ انْدَفَعَ يَقولُ في عَصَبِيَّةٍ : « قَلْبي يُحَدِّثُني أَنَّ «« عَنْتَرَةَ »» وَراءَ هَذا ، فَما عَهِدْتُكَ تَتَحَمَّسُ إِلّا لَهُ .»

وَ قالَ « مالِكٌ » : « هَلْ أَساءَ إِلَيْهِ «« ضاجِرٌ »» ؟!»

تَلَعْثَمَ «شَدّادٌ» ، وَ تَرَدَّدَ لَحَظاتٍ ، ثُمَّ قالَ : « لَقَدْ أَخْبَرَني «« ضاجِرٌ »» بِما كانَ يَفْعَلُهُ «« عَنْتَرَةُ »» بِالجِيادِ في المَراعي ، وَ كَأَنَّهُ يَظُنُّ نَفْسَهُ فارِساً مِنْ فُرْسانِ عَبْسٍ فَعاقَبْتُهُ .»

صاحَ الرَّبيعُ : « إِذَنْ فَهُوَ عَنْتَرَةُ ، سَيَلْقى جَزاءَهُ .»

كانَ في صَوْتِ المَلِكِ « زُهَيْر » حِدَّةٌ وَ هُوَ يَقولُ :«كَفى ، يا رَبيعُ ! هَذا أَمْرٌ انْتَهى ، «« وَ مالِكٌ »» قَدْ وَهَبَهُ دَمَ «« ضاجِرٍ »» ، ثُمَّ إِنَّ «« ضاجِراً »» عِمْلاقٌ ، يَعْرِفُ وَهُوَ يُهاجِمُ «« عَنْتَرَةَ »» أَنَّهُ يُهاجِمُ صَبِيًّا لَيْسَ مِنْ سِنِّهِ ، وَلا مِنْ حَجْمِهِ ، فَعَلَيْهِ وَحْدَهُ تَقَعُ تَبِعَةُ ما حَدَثَ .»

صاحَ « مالِكٌ » : « صَدَقْتَ يا أَبي ، حِكْمَتُكَ ، أَيُّها المَلِكُ ، تَفوقُ كُلَّ حِكْمَةٍ .»

وَ عادَ « الرَّبيعُ » يَقولُ : « وَ لَكِنَّ «« عَنْتَرَةَ »» لا بُدَّ أَنْ يَدْفَعَ ثَمَنَ جَريمَتِهِ .»

قالَ « زُهَيْرٌ » : « لَقَدْ أجارَهُ ‹‹ مالِكٌ ›› .»

وَ عَقَّبَ « مالِكٌ » قائِلاً :« وَ مَنْ أرادَ أنْ يَنالَ ‹‹عَنْتَرَةَ›› بِسُوءٍ ، فَعَلَيْهِ أنْ يَمُرَّ عَبْرَ سَيْفي أوَّلاً .»

وَ عادَ « زُهَيْرٌ » يَقولُ :« وَ ما ‹‹ ضاجِرٌ ›› إلا عَبْدٌ ، وَ أنْتَ أهْدَيْتَهُ ‹‹ لِمالِك ›› ، وَ أنا أهْديكَ بَدَلاً مِنْهُ عَبْدَيْنِ مِنْ أقْوى عَبيدي . أ راضٍ أنْتَ الآنَ ، يا ‹‹ رَبيعُ ›› ؟»

أطْرَقَ « الرَّبيعُ » وَ هُوَ يَقولُ : « رَضيتُ ، أيُّها المَلِكُ .»

وَ الْتَفَتَ المَلِكُ « زُهَيْرٌ » إلى « شَدّاد » قائِلاً : « وَ أنْتَ ، يا ‹‹ شَدّادُ ›› ، هَلْ تَنْقُضُ حُكْمي ؟»

أطْرَقَ « شَدّادٌ » بِرَأسِهِ وَ قالَ : « إنْ كانَ ‹‹ الرَّبيعُ ›› قَدْ رَضِيَ ، فَأنا راضٍ ، وَ لا أعْصي لَكَ أمْراً .»

« شَدَّاد » وَ مُؤامَرَةٌ ضِدَّ « عَنْتَرَة »

كانَ الجَمْعُ الَّذي الْتَفَّ حَوْلَ « شَدّاد بْنِ قُراد » في قاعَةِ دارِهِ يُخَيِّمُ عَلَيْهِ الوُجومُ وَ القَلَقُ ، فَقَدْ كانَ « شَدّادٌ » – مُنْذُ دَعاهُمْ إلَيْهِ – مُطْرِقًا إلى الأَرْضِ ، مُكْفَهِرَّ الوَجْهِ ، لا يَكادُ يَرْفَعُ عَيْنَيْهِ في وُجوهِهِمْ . وَ كانوا جَميعًا إخْوَتَهُ ، وَ بَعْضًا مِنْ فُرْسانِ عَبْسٍ ، الَّذينَ جَمَعَتْهُ وَ إيّاهُمُ الغَزَواتُ وَ المَعارِكُ مِمَّنْ تَعَوَّدوا أَنْ يَتَشاوَروا في أَيِّ أَمْرٍ يُلِمُّ بِأَحَدِهِمْ. وَ قَطَعَ « مالِكُ ابْنُ قراد » أخو « شَدّاد » الصَّمْتَ بِقَوْلِهِ :

« لَيْسَ مِنْ داعٍ لِكُلِّ هَذا التَّرَدُّدِ ، يا «شَدّادُ» ، فَنَحْنُ نَعْلَمُ لِماذا دَعَوْتَنا. إنَّهُ أَمْرُ هَذا الكَلْبِ الأَسْوَدِ ابْنِ « زَبيبَةَ » ، وَ قَدِ ابْتَلَيْتَنا بِهِ مِنْ حَيْثُ لا نَحْتَسِبُ ، فَلِماذا التَّرَدُّدُ ؟»

رَفَعَ « شَدّادٌ » رَأْسَهُ وَ نَظَرَ إلَيْهِمْ وَ هُوَ يَقولُ : « هُوَ ابْني ، لا يَنْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذا .»

قالَ« مُعاوِيَةُ بْنُ قُراد » :« فَلِماذا جَمَعْتَنا إذَنْ، إنْ كُنْتَ تَخافُ عَلَيْهِ مِنَ الجَزاءِ العادِلِ الَّذي يَنْبَغي أَنْ يَنالَهُ .»

عادَ « شَدّادٌ » يَقولُ :« إنَّهُ في جيرَةِ ‹‹ مالِكِ بْنِ زُهَيْر ›› ، وَ لَسْتُ أريدُ إغْضابَ ‹‹ مالِك ›› .»

ضَحِكَ « الحَرْثُ بْنُ شِهاب » ضِحْكَةً جافَّةً وَ هُوَ يَقول : « سَتَجْتَمِعُ فُرْسانٌ تُمَثِّلُ كُلَّ عائِلَةٍ مِنْ عائِلاتِ عَبْسٍ ، و لَنْ يَعْرِفَ ‹‹ مالِكٌ ›› عَلى مَنْ يَصُبُّ جامَ غَضَبِهِ مِنّا ، وَ لَوْ فَعَلَ لَفَقَدَ مَكانَتَهُ في القَبيلَةِ .»

وَ قالَ « شَدّادٌ » : « وَ بِهَذا نَنْقُضُ حُكْمَ المَلِكِ ‹‹زُهَيْر›› ، وَ نَفْعَلُ عَكْسَ ما أرادَ .»

قالَ « عامِرُ بْنُ ناقِد » مُشارِكًا في الحَديثِ لأوَّلِ مَرَّةٍ : « المَلِكُ ‹‹ زُهَيْرٌ ›› مُعْجَبٌ ‹‹ بِعَنْتَرَةَ ›› وَ طُموحِهِ وَ شَجاعَتِه، وَ قَدْ وَقَفَ ضِدَّ ابْنِهِ ‹‹ شاس ›› حينَ أرادَ الانْتِقامَ مِنْهُ لِقَتْلِه العَبْدَ ‹‹ داجِيًا ›› أفْضَلَ عَبيدِهِ إلَيْهِ ، وَ لَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ أبَدًا قَتْلَ ‹‹ عَنْتَرَةَ ›› مَهْما سُقْتُمْ إلَيْهِ مِنْ حُجَجٍ .»

اِنْدَفَعَ « مالِكُ بْنُ قُراد » قائِلاً : « إنَّ ‹‹ عَنْتَرَةَ ›› أحْمَقُ ، وَ أخْشى أنْ يَقْتُلَ سَيِّدًا كَبيرًا ، أوْ أميرًا خَطيرًا مِنْ أصْحابِ الحَسَبِ وَ النَّسَبِ، فَيَجُرَّ عَلَيْنا الوَيْلاتِ ، وَ يُدْخِلَ كُلَّ عَبْسٍ في صِراعاتٍ لَنْ تُرْضِيَ المَلِكَ ‹‹ زُهَيْرًا ›› ، وَ لَنْ تَعودَ بِالخَيْرِ عَلى عَبْسٍ كُلِّها .»

قالَ « عامِرُ بْنُ ناقِد » : « رُبَّما كُنْتَ عَلى صَوابٍ في هَذا ، يا «« مالِكُ »» ، فَلَوْ أنَّ هَذا العَبْدَ كانَ يَتَّصِفُ بِالحِكْمَةِ وَ التَّعَقُّلِ وَ التَّبَصُّرِ بِالأمورِ – لأصْبَحَ كَسْبًا لِعَبْسٍ لا مَثيلَ لَهُ .»

عادَ « مالِكٌ » يَقولُ ، وَقَدْ أحَسَّ أنَّهُ قَضى عَلى مُعارَضَتِهِ : « وَ لَكِنَّهُ مُنْدَفِعٌ وَ أحْمَقُ ، لا يَعْرِفُ ما يَمْلِكُ مِنْ قُوَّةٍ ، وَ قَدْ أثْبَتَ هَذا مَرَّتَيْنِ .»

قالَ « شَدّادٌ » : « إذَنْ لَقَدْ قَرَّ قَرارُكُمْ عَلى قَتْلِهِ .»

صاحَ «مالِكٌ» مُحَذِّرًا :« إنَّهُ القِصاصُ مِنْهُ عَلى ما فَعَلَ بِـ«داجي» وَ «ضاجِر» عَبْدَيْ «شاس» وَ «الرَّبيع» .»

قالَ « شَدّادٌ » : « وَ ما القِصاصُ إلّا القَتْلُ .»

عادَ « مالِكٌ » يَقولُ : « القَتْلُ لِمَنْ قَتَلَ ، وَ هُوَ قَدْ قَتَلَ مَرَّتَيْنِ ، فَحَقَّ عَلَيْهِ القِصاصُ العادِلُ .»

ضَحِكَ « عامِرُ بْنُ ناقِد » وَ قالَ : « فَقَطْ لا تَقْتُلوهُ في الحِلَّةِ ، وَ إنَّما ارْسُموا خُطَطَكُمْ لأخْذِ قِصاصِكُمْ هَذا مِنْهُ في المَراعي بَعيدًا عَنِ الأنْظارِ ، حَتّى لا يُقالَ إنَّ ساداتِ عَبْسٍ تَكاتَفوا عَلى قَتْلِ عَبْدٍ مِنْ عَبيدِهِمْ ، وَ هُوَ عَلى هَذا غُلامٌ

صَغيرٌ .»

قالَ « شَدّادٌ » : « أ لا توجَدُ وَسيلَةٌ أخْرى غَيْرَ هَذِهِ ؟!»

قالَ « مالِكُ بْنُ قُراد » : « إنَّكَ تَتَرَدَّدُ في قَتْلِهِ ! إنَّ أوَّلَ مَنْ سَيُطالَبُ بِدَمِ قَتْلاهُ هُوَ أنْتَ ، ثُمَّ لا تَنْسَ أنَّ بَقاءَهُ في الحِلَّةِ يُسَبِّبُ القيلَ وَ القالَ حَوْلَ ‹‹ عَبْلَةَ ›› .»

عادَ « عامِرُ بْنُ ناقِد » يَضْحَكُ وَ هُوَ يَقولُ : « ما هَذا الكَلامُ ، يا ‹‹ مالِكُ ›› ، ما هِيَ إلّا فَتاةٌ صَغيرَةٌ ! وَ ما هُوَ إلّا صَبِيٌّ صَغيرٌ !»

قالَ « مالِكٌ » : « صَغيرَةٌ أوْ غَيْرُ صَغيرَةٍ ، وَطِفْلٌ أوْ غَيْرُ طِفْلٍ ، لَسْتُ أرْضى بِهَذا التَّعَلُّقِ الشَّديدِ الَّذي يَرْبِطُ بَيْنَهُما.»

قالَ « شَدّادٌ » مُحَذِّرًا : « حَذارِ ، يا ‹‹ مالِكُ ›› ، نَحْنُ نَقْتَصُّ مِنْهُ لِقَتْلِهِ العَبْدَيْنِ ، لا خَوْفًا مِنْهُ عَلى ‹‹ عَبْلَةَ ›› ، وَ لْيَكُنْ هَذا واضِحًا مِنَ الآنَ .»

ضَحِكَ « مُعاوِيَةُ بْنُ قُراد » وَ أخَذَ يَعْبَثُ في لِحْيَتِهِ وَهُوَ يَقولُ : « إذَنْ فَهُناكَ شَيْءٌ دَفينٌ في النُّفوسِ ، ‹‹ مالِكٌ ›› يَخْشى عَلى ابْنَتِهِ ‹‹ عَبْلَةَ ›› ، وَ ‹‹ شَدّادٌ ›› لا يُريدُ أنْ يَعْتَرِفَ بِعَنْتَرَةَ ابْنًا لَهُ ، وَ كُلُّ العَبيدِ يُريدونَ هَلاكَهُ لأنَّهُ يُذَكِّرُهُمْ –

بِتَمَرُّدِهِ – بِذِلَّتِهِمْ ، وَ ... »

كانَ « مُعاوِيَةُ بْنُ قُراد » أخو « شَدّاد » قَليلَ الكَلامِ ، وَ لَكِنَّهُ كانَ حينَ يَتَكَلَّمُ يُرْغِمُ الجَميعَ عَلى الاسْتِماعِ إلَيْهِ وَ الإصْغاءِ إلى حَديثِهِ ، فَقَدْ كانَ حَديثُهُ دائِماً يَكْشِفُ ما في دَخائِلِ النُّفوسِ ، وَما يُخْفيهِ ظاهِرُ النّاسِ مِنْ باطِنٍ لا يُحِبّونَ أنْ يَراهُ أحَدٌ . وَ صَمَتَ الجَميعُ في حينَ عادَ يَقولُ : « لا العَبْدُ « داجي » وَ لا « ضاجِرٌ » مِمَّنْ يُبْكى عَلَيْهِمْ ، فَكِلاهُما مِنْ سَفِلَةِ العَبيدِ وَ أحَطِّهِمْ شَأناً ، وَ كانَ كِلاهُما يُلْحِقُ الأذى بِالعَجائِزِ وَ الصِّغارِ وَ الضِّعافِ ، وَ يَسومونَهُمُ الهَوانَ ، فَما كُلُّ هَذِهِ الضَّجَّةِ حَوْلَ مَوْتِهِما ؟ وَ قَدْ ماتا مُعْتَدِيَيْنِ يُحاوِلانِ بِنَذالَةٍ قَتْلَ صَبِيٍّ صَغيرٍ !»

وَ عادَ يَقولُ : « العَبْدُ الصَّغيرُ تَمَرَّدَ عَلى العُبودِيَّةِ ، وَ رَفَضَ الهَوانَ ، وَ أرادَ أنْ يَنالَ مَكانَهُ مِنْ أبيهِ . الفَتى الصَّغيرُ رَفَضَ أنْ تُهانَ العَجائِزُ وَ الضِّعافُ فَصارَعَ وَ صَمَدَ وَ انْتَصَرَ . الوَلَدُ المُقصى عَنْ مَكانِهِ لِلَوْنِهِ وَ هَوانِ أُمِّهِ ، يُريدُ أنْ يَحْفِرَ مَكانَهُ بِفِعالِهِ . كُلُّ هَذا يَمْلأُ القُلوبَ الصَّغيرَةَ بِالحِقْدِ ، وَ القُلوبَ الكَبيرَةَ بِالخَوْفِ فَتَتَصاغَرُ وَ تَتَضاءَلُ .»

ثُمَّ أجالَ بَصَرَهُ فيهِمْ لَحَظاتٍ وَ قالَ : « لَسْتُ مَعَكُمْ فيما

تَقولونَ ، وَ لَوْ أَنّي أَسَجِّلُ بِهَذا ضَعْفي ؛ إِذْ كانَ يَنْبَغي أَنْ أَمْنَعَكُمْ عَنْ هَذا الفِعْلِ الصَّغيرِ الَّذي تَنْوونَهُ ، لأَنّي أَعْرِفُ أَنَّ بَعْضَكُمْ يُريدُ إِرْضاءَ « شاس » وَ بَعْضَكُمْ يُريدُ إِرْضاءَ « الرَّبيع » ، وَ أَنَّ كُلَّكُمْ يُريدُ أَنْ يَمْحُوَ مِنَ الوُجودِ رَمْزاً ، يُؤَكِّدُ لَهُ بِوُجودِهِ أَنَّ شَيْئاً يَنْقُصُهُ ، وَ أَنَّ العَبْدَ الصَّغيرَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَ أَكْرَمُ .»

وَ صَمَتَ « مُعاوِيَةُ بْنُ قُراد » ، ثُمَّ ابْتَسَمَ وَهُوَ يَقولُ في مَرارَةٍ : « كانَ جَديراً بِالأَبِ أَنْ يَكونَ فَخوراً بِمِثْلِ عَنْتَرَةَ ، وَ كانَ جَديراً بِأَعْمامِهِ أَنْ يُحِسّوا بِالزَّهْوِ بِهِ ، وَ لَكِنْ ...» وَ تَنَهَّدَ وَ هُوَ يَنْهَضُ واقِفاً وَ يَقولُ : « لا بُدَّ مِمّا لَيْسَ مِنْهُ بُدٌّ ، وَلَنْ يُغَيِّرَ إِنْسانٌ قَدَراً . أَتْرُكُكُمْ لِما أَنْتُمْ فيه ، وَ لَوْ أَنّي أَتَمَنّى لَكُمُ الفَشَلَ وَ الخَيْبَةَ .»

وَ لَمْلَمَ مَلابِسَهُ حَوْلَهُ ، وَ انْتَعَلَ خُفَّهُ ، وَ مَضى في بُطْءٍ خارِجاً ، وَظَلَّ الوُجومُ مُخَيِّماً عَلى الجالِسينَ حَوْلَ « شَدّادٍ »، وَ كُلٌّ مِنْهُمْ يُحاوِلُ أَنْ يَتَجَنَّبَ النَّظَرَ في عَيْنَيِ الآخَرِ . ثُمَّ تَنَهَّدَ « شَدّادٌ » ، وَ هَبَّ واقِفاً إِيذاناً بِانْتِهاءِ الجَلْسَةِ وَهُوَ يَقولُ : « لا عَلَيْكُمْ مِنْ حَديثِ أَخي « مُعاوِيَةَ » ، نَلْتَقي غَداً عِنْدَ حَنِيَّةِ الجَبَلِ ، وَ لْنَتَلَثَّمْ وَ نَكْمُنْ لَهُ ، فَإِذا ما

أقْبَلَ انْتَهَيْنا مِنْ أمْرِهِ .»

***

قالَتْ « عَبْلَةُ » في حِدَّةٍ مُخاطِبَةً أسْماءَ : « لَقَدْ بَرَّأَهُ المَلِكُ « زُهَيْرٌ » ، فَلَمْ يَعُدْ مُطالَبًا بِدَمِ « ضاجِرٍ » .»

قالَتْ « زَبِيبَةُ » في انْدِفاعٍ ، وَهِيَ تَضْحَكُ وَ تَبْكي في آنٍ واحِدٍ : « إنَّهُ كانَ يُدافِعُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَ هُوَ بَرِيءٌ وَ طَيِّبٌ ، وَ هُوَ ابْني .»

نَقَّلَتْ أسْماءُ بَصَرَها بَيْنَ « عَبْلَةَ » وَ جارِيَةِ أخي زَوْجِها ، ثُمَّ قالَتْ : « ما جَدْوى الحَديثِ مَعَكُما ، وَ أنْتُما لا تَرَيانِ في الدُّنْيا إلّا « عَنْتَرَةَ » ، وَ مَهْما فَعَلَ فَهُوَ مَقْبولٌ عِنْدَكُما ؟»

قالَتْ « عَبْلَةُ » : « كُلُّ الصِّبْيانِ وَ البَناتِ فَرِحونَ بِهِ .»

وَ قالَتْ « زَبِيبَةُ » : « وَ أيْضًا كُلُّ العَجائِزِ وَ الإماءِ فَرِحاتٌ بِتَخْليصِهِنَّ مِنْ « ضاجِرٍ » ، وَ « داجي » قَبْلَهُ ، لَقَدْ جِئْنَ إلَيَّ واحِدَةً واحِدَةً وَ قُلْنَ لي هَذا .»

قالَتْ « أسْماءُ » في حَزْمٍ : « قُلْنَهُ لَكِ هَمْسًا طَبْعًا ، أمّا الحَقيقَةُ فَهِيَ أنَّ كُلَّ العَبيدِ في الحِلَّةِ يَخافونَ مِنْهُ وَيَخْشَوْنَهُ الآنَ أكْثَرَ مِنْ خَوْفِهِمْ وَ خَشْيَتِهِمْ مِنْ « داجي »

وَ « ضاجِر » . وَالحَقيقَةُ أَيْضاً أَنَّ كُلَّ سادَةِ عَبْسٍ وَفُرْسانِها يَخْشَوْنَ أَنْ يَقودَهُ تَهَوُّرُهُ إلى فِعْلٍ أَحْمَقَ يَجُرُّ القَبيلَةَ كُلَّها إلى مَشاكِلَ لا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ التَّصَدِّيَ لَها . الحَقيقَةُ ، يا « زَبيبَةُ » ، و الحَقيقَةُ ، يا « عَبْلَةُ » ، أَنَّ « عَنْتَرَةَ » قَدْ أَصْبَحَ أَشَدَّ خَطَراً وَ فَتْكاً مِنْ « داجي » وَ « ضاجِر ».»

صاحَتْ « عَبْلَةُ » : « ما هَذا الكَلامُ ، يا أُمّاهُ.. « عَنْتَرَةُ » لَهُ خُلُقُهُ وَ مُثُلُهُ .»

وَ صاحَتْ « زَبيبَةُ » : « « عَنْتَرَةُ » لَمْ يَضْرِبْ إلّا دِفاعاً عَنِ العَجائِزِ وَ الضُّعَفاءِ .»

قالَتْ « أَسماءُ » في إِصْرارٍ : « في البِدايَةِ رُبَّما ، وَ لَكِنْ ما القَوْلُ حينَ يَغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ ، وَ تُغْريهِ سَطْوَتُهُ ، أَ لَنْ يَتَحَوَّلَ إلى عَبْدٍ مُؤْذٍ كَالعَبيدِ الَّذينَ واجَهَهُمْ ؟»

ضَرَبَتْ « عَبْلَةُ » الأَرْضَ بِقَدَمِها في غَضَبٍ وَ هِيَ تَقولُ : « « عَنْتَرَةُ » لا يُحِبُّ أَنْ يُؤْذِيَ أَحَداً .»

وَ صاحَتْ « زَبيبَةُ » وَ قَدْ كَفَّ ضَحِكُها ، وَ لَمْ يَعُدْ في صَوْتِها إلا البُكاءُ : « وَ لَكِنَّ الكُلَّ لا يُريدُ إلّا إيذاءَهُ وَ الإساءَةَ إِلَيْهِ . وَ ها أَنْتِ ، يا سَيِّدَةُ « أَسْماءُ » ، تُؤْذينَهُ حَتّى في

المُسْتَقْبَلِ .»

قالَتْ « أَسْماءُ » : « ‹‹ عَنْتَرَةُ ›› يَنْسى مَكانَتَهُ ، وَما يَفْعَلُهُ اليَوْمَ وَهُوَ صَبِيٌّ ، سَيَفْعَلُهُ أَضْعافًا مُضاعَفَةً وَهُوَ شابٌّ ، ثُمَّ وَ هُوَ رَجُلٌ .»

قالَتْ « عَبْلَةُ » : « ‹‹ عَنْتَرَةُ ›› لا يَرْضى بِمَكانٍ وَضَعَهُ فيهِ الظُّلْمُ ، وَ سَيَنْتَصِرُ ، وَ يَحْصُلُ عَلى ما هُوَ جَديرٌ بِهِ .»

قالَتْ « أَسْماءُ » : « وَ ما مَكانُ العَبْدِ ، يا ‹‹ عَبْلَةُ ›› ؟»

قالَتْ « عَبْلَةُ » : « لَيْسَ ‹‹ عَنْتَرَةُ ›› عَبْداً ، وَ إِنَّما هُوَ ابْنُ عَمّي ‹‹ شَدّادٍ ›› ، وَهُوَ حُرٌّ .. حُرٌّ .. حُرٌّ .»

قالَتْ « زَبيبَةُ » وَهِيَ تُكَفْكِفُ دَمْعَها : « نَعَمْ ، هُوَ حُرٌّ ، وَ ما وَلَدَتْ ‹‹ زَبيبَةُ ›› عَبْداً . وَ ما صَنَعَهُ الرِّجالُ بِسُيوفِهِمْ يُغَيِّرُهُ ابْني بِسَيْفِهِ . هُوَ حُرٌّ .. حُرٌّ .. حُرٌّ .»

***

لَمْ يَكُنْ « عَنْتَرَةُ » يَجِدُ ما يَقولُهُ ، فَقَدْ وَقَفَ أَمامَ الأَميرِ « مالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ » مُطْرِقَ الرَّأْسِ ، مُغْرَوْرِقَ العَيْنَيْنِ بِدُموعِ الامْتِنانِ وَ الفَرَحِ . وَ رَبَّتَ الأَميرُ « مالِكٌ » عَلى كَتِفَيْهِ ، وَهُوَ يَقولُ : « لَمْ يَعُدْ هَناكَ ما تَخْشاهُ ، يا ‹‹ عَنْتَرَةُ ›› ،

فَأنْتَ مُنْذُ اليَوْمِ لا يُطالِبُكَ أحَدٌ بِدَمِ « ضاجِر » .»

كانَ صَوْتُ « عَنْتَرَة » مُتَحَشرِجاً مُتَرَدِّداً ، وَ هُوَ يَقولُ : «لَقَدْ وَضَعْتُك ، أيُّها الأميرُ ، في مَوْقِفٍ حَرِجٍ مَرَّةً أخْرى ، وَ لكِنّي لَمْ أجِدْ عَقْلاً فاهِماً ، وَ لا نَفْساً طَيِّبَةً ألْجَأُ إلَيْها إلّا أنْتَ .»

قالَ الأميرُ « مالِكٌ » : « لا عَلَيْكَ ، يا « عَنْتَرَةُ » ، إنَّ الكَثيرينَ مِنّا يَرْجونَ مِنْكَ غَداً أفْضَلَ لِعَبْسٍ ، فَقَدْ طالَ هَذا الظَّلامُ الَّذي يُخَيِّمُ عَلى القَبيلَةِ ، وَ آنَ الأوانُ لِصَوْتٍ جَديدٍ ، وَ رُؤْيَةٍ جَديدَةٍ لِوَضْعِ الإنْسانِ في القَبيلَةِ .»

رَفَعَ « عَنْتَرَةُ » عَيْنَيْهِ وَ هُما تَلْمَعانِ في انْفِعالٍ وَ قالَ : « إذَنْ فَأنْتَ رَغْمَ أنَّكَ مِنَ الأمَراءِ ، وَ أنْتَ ابْنُ المَلِكِ « زُهَيْرٍ » نَفْسِهِ ، تُحِسُّ أنَّ ما يَحْكُمُ وُجودَ الإنْسانِ في قَبيلَتِنا شَيْءٌ ظالِمٌ وَ جائِرٌ .»

ضَحِكَ « مالِكٌ » ضِحْكَةً قَصيرَةً ثُمَّ قالَ في هُدوءٍ : « إنَّنا نَقولُ أشْياءَ كَثيرَةً عَنِ الكَرامَةِ وَ الشَّهامَةِ وَ النَّجْدَةِ ، وَ لَكِنَّنا نُمارِسُ في حَياتِنا الإذْلالَ وَ الطُّغْيانَ وَ الخِسَّةَ . كَثيرونَ مِنّا يُحِسّونَ أنَّ الألْفاظَ الَّتي تَتَحَدَّثُ بِها قَدْ فَقَدَتْ مَعانِيَها ، وَ أنَّها أصْبَحَتْ سُخْرِيَةً حَقيقِيَّةً لا تُقْنِعُ أحَداً ، وَ لا

يُصَدِّقُها أحَدٌ ، فَنَحْنُ في القَبيلَةِ سادَةٌ وَ عَبيدٌ، وَ السّادَةُ يَغارونَ مِن انْتِماءِ أحَدٍ إلَيْهِمْ ، وَ لِذَلِكَ فَهُمْ يَحْرِصونَ عَلى تَأكيدِ أحَقِّيَّتِهِمْ في السِّيادَةِ بِحِفْظِ جَداوِلِ الأنْسابِ أبًا عَنْ جَدٍّ ، عَنْ جَدٍّ ، إلى أقْدَمِ جَدٍّ مُمْكِنٍ . فَهُمْ سادَةٌ أبْناءُ سادَةٍ ، وَرِثوا السِّيادَةَ جيلاً وَراءَ جيلٍ ، وَ لا هَمَّ لَهُمْ إلّا حَمْلُ السَّيْفِ وَرُكوبُ الخَيْلِ وَ قَوْلُ الشِّعْرِ ، أمّا العَبيدُ ، فَعَلَيْهِمُ العَمَلُ وَ الرَّعْيُ وَحِفْظُ المالِ وَ المَتاعِ .»

اِبْتَسَمَ « عَنْتَرَةُ » في مَرارَةٍ وَهُوَ يَقولُ :« أنْتَ تَنْسى جَزَّ الصّوفِ ، وَ حَلْبَ الألْبانِ ، وَ تَنْظيفَ الدّورِ وَ الخِيامِ ، وَ تَطْبيبَ الإبِلِ ، وَ تَمْشيطَ الخُيولِ ، وَ طَهْيَ الطَّعامِ ، وَغَسيلَ القُدورِ ، وَ سَقْيَ الغَنَمِ وَ الإبِلِ ، وَ رِعايَةَ الأطْفالِ، وَ قَضاءَ الحاجاتِ ، وَ الجَرْيَ في رِكابِ السّادَةِ .»

قالَ الأميرُ « مالِكٌ » وَهُوَ يَضْحَكُ : « أنْتَ أدْرى بِواجِباتِ العَبيدِ ، يا «عَنْتَرَةُ» ، وَ أنا لا أعْرِفُ إلّا أنَّني آمِرٌ فَيَتِمُّ تَنْفيذُ ما آمُرُ بِهِ ، أمّا ما وَراءَ تَنْفيذِ هَذِهِ الأوامِرِ مِنْ عَناءٍ ، فَأمْرٌ لا يَعْرِفُهُ السّادَةُ مِنْ أمْثالي . أ فَهِمْتَ الآنَ ، يا «عَنْتَرَةُ» ؟»

« سَيِّدي الأميرَ «مالِكًا» ، رُبَّما كانَ الأمْرُ بِالنِّسْبَةِ لَكَ أمْرَ فَهْمٍ وَإدْراكٍ ، وَ إنَّما هُوَ بِالنِّسْبَةِ لَنا – مَعْشَرَ العَبيدِ – أمْرُ

عَمَلٍ وَ عَرَقٍ وَدُموعٍ وَآلامٍ وَمَرارَةٍ .»

وَ أطْرَقَ لَحَظاتٍ ثُمَّ قالَ : « وَيَأسٍ .»

ضَحِكَ الأميرُ « مالِكُ بْنُ زُهَيْر » ، وَ قالَ : « يَأسٌ ؟ أ مِثْلُكَ مِمَّنْ يَتَحَدَّثُ عَنِ اليَأسِ ، يا « عَنْتَرَةُ »؟ لا أظُنُّ أنَّكَ تَعرِفُ مَعْنًى لِهَذِهِ الكَلِمَةِ ! فَأنْتَ لَمْ تَعْرِفْها وَ أنْتَ تُواجِهُ اعْتِداءَ « داجي » بِقُوَّتِهِ ، وَ لا وَقاحَةَ « ضاجِر » وَ جَسَدَهُ الضَّخْمَ وَ شُهْرَتَهُ العَريضَةَ بِالقُوَّةِ وَ الوَحْشِيَّةِ . لا ، يا « عَنْتَرَةُ » ، لأنَّكَ لا تَعرِفُ مَعْنًى لِهَذِهِ الكَلِمَةِ فَأنا أقِفُ إلى جِوارِكَ دائِماً ، وَ أنْتَ لا تَعرِفُ كَمْ مِنَ الرِّجالِ يَرَوْنَ فيكَ مَثَلاً وَقُدْوَةً وَ أمَلاً .»

قالَ « عَنْتَرَةُ » : « هَذا كَثيرٌ أيُّها الأميرُ . ما أنا إلّا عَبْدٌ لا يَرْضى العُبودِيَّةَ ، وَ إنْسانٌ يُريدُ الخَلاصَ مِنَ الذُّلِّ الَّذي وَضَعَتْهُ فيهِ قَواعِدُكُمْ وَ تَقاليدُكُمْ .»

قالَ الأميرُ « مالِكٌ » : « أوَّلُ مَنْ يَجِبُ أنْ يَنْشُدَ الخَلاصَ مِنْ هَذِهِ القَواعِدِ وَ التَّقاليدِ هُمُ السّادَةُ ، فَهِيَ حَقًّا تَحْفَظُ لَهُمْ سَيْطَرَتَهُمْ وَثَراءَهُمْ وَ تَنَعُّمَهُمْ ، وَ لَكِنَّها تَقِفُ بِهِمْ في أماكِنِهِمْ ، فَهُمْ يُحافِظونَ عَلى اليَوْمِ الآنَ ، وَ يُهْدِرونَ الغَدَ وَ المُسْتَقْبَلَ .»

كانَ « عَنْتَرَةُ » يُحاوِلُ أنْ يُتابِعَ حَديثَ الأميرِ « مالِك » وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيْهِ أنَّهُ لا يُدْرِكُ كُلَّ المعاني الَّتي يَحْتَويها كَلامُ الأميرِ « مالِك » ، فَعادَ يَقولُ في إصْرارٍ : « ما أنا إلّا عَبْدٌ لا يَرْضى العُبودِيَّةَ أيُّها الأميرُ ‹‹ مالِكٌ ›› .»

ضَحِكَ الأميرُ « مالِكٌ » ، وَ ظَلَّ يَضْحَكُ وَ هُوَ يَنْظُرُ إلى وَجْهِ « عَنْتَرَةَ » الَّذي وَقَفَ حائِرًا ، لا يَعْرِفُ ما الَّذي سَبَّبَ كُلَّ هَذِهِ المَوْجَةِ مِنَ الضَّحِكِ الَّتي انْتابَتِ الأميرَ ، ثُمَّ أخَذَ « مالِكٌ » يَتَمالَكُ نَفْسَهُ تَدْريجِيًّا ، وَ رَبَّتَ عَلى كَتِفِ «عَنْتَرَةَ » وَ هُوَ يَقولُ : « لا بَأسَ بِهَذا الآنَ ، أمّا حينَ تَكْبَرُ فَسَيَكونُ الأمْرُ عِنْدَكَ أكْبَرَ مِنْ هَذا بِكَثيرٍ ، وَ لَكِنِ احْتَرِسْ لِنَفْسِكَ ، يا ‹‹ عَنْتَرَةُ ›› ؛ فَأنْتَ مُنْذُ الآنَ هَدَفٌ لِكُلِّ مَنْ يُريدُ أنْ يُجْهِضَ كُلَّ صَوْتٍ ، وَ لَوْ كانَ هَمْسَةً تُشيرُ إلى الرَّعْدِ القادِمِ وَ العاصِفَةِ الموشِكَةِ .»

وَ لَمْ يَجِدْ « عَنْتَرَةُ » كَلِماتٍ يَرُدُّ بِها عَلى حَديثِ الأميرِ فَتَلَجْلَجَ وَ أُرْتِجَ عَلَيْهِ ، وَ لَكِنَّ الأميرَ « مالِكًا » دَفَعَهُ إلى بابِ الدّارِ ، وَ هُوَ يَبْتَسِمُ في وَجْهِهِ ابْتِسامَةً مُشَجِّعَةً ، وَ يَقولُ : « اِحْتَرِسْ لِنَفْسِكَ ، يا ‹‹ عَنْتَرَةُ ›› ، وَ لا تَنْسَ أبَدًا أنَّني صَديقُكَ ، وَ أنَّني لَنْ أتَرَدَّدَ في مَدِّ يَدِ المَعونَةِ إلَيْكَ حينَ

تَحْتاجُها .»

***

اِسْتَمَعَ « شَيْبوبٌ » إلى حَديثِ « عَنْتَرَةَ » حَتّى نِهايَتِهِ ، ثُمَّ قالَ : « أنا مِثْلُكَ ، لا أَفْهَمُ ما تَعْني كَلِماتُ الأميرِ « مالِك » ولَكِنَّ مِثْلَهُ لا يُلْقي كَلاماً بِدونِ مَعْنًى أوْ هَدَفٍ ، فَما دامَ قَدْ قالَ لَكَ احْتَرِسْ ، فَلْتَحْتَرِسْ إذَنْ .»

قالَ « جَريرٌ » : يَحْتَرِسُ مِمَّنْ ؟ مَنِ الَّذي يَهْتَمُّ بِأذِيَّتِنا ؟ العَبيدُ أصْبَحوا يَخافونَ « عَنْتَرَةَ » ، ولَنْ يَجْرُؤَ واحِدٌ عَلى التَّعَرُّضِ لَهُ مِنَ اليَوْمِ ، أمّا الآخَرونَ ، فَما « عَنْتَرَةُ » وَ ما نَحْنُ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ ؟»

قالَ « شَيْبوبٌ » :« أنا لا أخالِفُكَ في هَذا ، يا « جَريرُ »، وَ لَكِنَّ « عَنْتَرَةَ » أغْضَبَ السّادَةَ حينَ تَفَوَّقَ عَلى العَبيدِ .»

ضَحِكَ « عَنْتَرَةُ » وَهُوَ يَقولُ : « كَلامُكَ هَذا يُشْبِهُ كَلامَ الأميرِ « مالِك » ، وَ أنا أيْضاً لا أفْهَمُ ما وَراءَهُ ، وَ لَكِنَّ الَّذي حَدَثَ أنَّ السّادَةَ غَضِبوا لِهَزيمَةِ عَبيدِهِمْ .»

قالَ « شَيْبوبٌ » في جِدِّيَّةٍ وَ هُوَ يَعُدُّ عَلى أصابِعِ يَدِهِ : « الأميرُ « شاسٌ » ، « الرَّبيعُ بْنُ زِياد » ، وَ أوَّلاً وَ أخيراً

«« شَدّادُ بْنُ قُراد »» .»

« أبي ! لَسْتُ أَظُنُّ أنَّ أبي يَحْمِلُ عَداوَةً لي ، إنَّما هُوَ يُرَبّيني كَما يُرَبّي الآباءُ أبْناءَهُم .»

قالَ « شَيْبوبٌ » في إصْرارٍ : « «« شَدّادٌ »» لا يَمْلِكُ أنْ يُخالِفَ رَأيَ الفُرْسانِ مِنْ بَني عَبْسٍ .»

قالَ « جَريرٌ » : « وَ«« شَدّادٌ »» لا يَعْتَرِفُ بِأُبُوَّتِهِ لَكَ ، إنَّهُ لا يُعامِلُكَ إلّا كَعَبْدٍ يَمْلِكُهُ ، مِثْلي وَمِثْلِ «« شَيْبوب »» .»

قالَ « عَنْتَرَةُ » في حَنَقٍ : « وَلَكِنَّهُ أبي .»

فَعادَ « شَيْبوبٌ » يَقولُ : « هُوَ أبوكَ ، وَهُوَ يَنْظُرُ لَكَ كَفَرَسٍ حَرونٍ ، فَلْتَسْمَعْ كَلِماتِ الأميرِ «« مالِك »» ، اِحْذَرْ، يا «« عَنْتَرَةُ »» ، اِحْذَرْ كُلَّ إنْسانٍ !»

« حَتّى أبي ؟»

« حينَ يَعْتَرِفُ بِأُبُوَّتِهِ لَكَ فَأَنْتَ ابْنُهُ ، أمّا الآنَ فَأَنْتَ عَبْدٌ لا يُسْأَلُ عَنْ دَمِهِ إنْ قَتَلَهُ .»

وَ قالَ « جَريرٌ » : « وَ لَكِنَّهُ يُسْأَلُ عَنْ كُلِّ دَمٍ تُريقُهُ !»

« وَ كَيْفَ الحَذَرُ ؟ وَ أنا لا بُدَّ أنْ أذْهَبَ إلى المَراعي ؟»

قالَ « شَيْبوبٌ » : « في كُلِّ مَكانٍ سَتَكونُ فيهِ ، يُراقِبُ أحَدُنا مَكانَكَ مِنَ الأمامِ ، وَ الآخَرُ يُراقِبُهُ مِنَ الخَلْفِ .»

قالَ « عَنْتَرَةُ » : « أنْتُما ؟ وَ لكِنِ المالُ مَنْ يَحْرُسُهُ إذا كُنْتُما سَتَحْرُساني أنا ؟»

قالَ « شَيْبوبٌ » : « سَنُقَسِّمُ المالَ مِنْ إبِلٍ وَ أغْنامٍ بَيْنَنا وَ مَعَنا أُمُّنا « زَبيبَةُ » ، وَ نُوَزِّعُ أماكِنَنا بِحَيْثُ تَظَلُّ أنْتَ وَ ما مَعَكَ مِنْ مالٍ تَحْتَ حِراسَتِنا الدّائِمَةِ وَ اليَقِظَةِ . وَ حينَ تَذْهَبُ ، وَ حينَ تَعودُ ، أتَقَدَّمُ أنا القَطيعَ كُلَّهُ بِمَسافَةٍ ، وَ يَتَأخَّرُ « جَريرٌ » وَراءَ القَطيعِ ؛ حَتّى نَحْذَرَ أيَّ غَدْرٍ أوْ شَرَكٍ .»

قالَ « عَنْتَرَةُ »: « لَنْ تَغْفُلَ لي عَيْنٌ مِنَ اليَوْمِ ، وَ لكِنَّ هَذا لَنْ يَصْرِفَني عَنْ مِراني اليَوْمِيِّ عَلى الفُروسِيَّةِ وَ إصابَةِ الهَدَفِ وَ مُقاتَلَةِ وُحوشِ البَرِّ .»

كادَ « جَريرٌ » يَعْتَرِضُ ، وَ لكِنَّ « شَيْبوباً » أسْكَتَهُ بِحَرَكَةٍ مِنْ يَدِهِ ، وَ قالَ : « لَكَ هَذا ، يا « عَنْتَرَةُ »، وَ لَنْ أكُفَّ أنا أيْضاً عَنْ مِراني في تَعَقُّبِ الأثَرِ وَ مُجاراةِ الإبِلِ السَّريعَةِ في عَدْوِها ، وَ لكِنَّنا دائِماً سَنَكونُ عَلى حَذَرٍ .»

صِراعٌ في وادي السِّباعِ

أوْغَلَتْ « زَبيبَةُ » في الصَّحْراءِ بِما تَرْعى مِنْ إبِلٍ وَ أغْنام وَكَأنَّها تُريدُ أنْ تَبْتَعِدَ عَنْ مَنازِلِ بَني عَبْسٍ ، مَسافَةً مِنَ الصَّحْراءِ تُشْعِرُها بِالأمانِ عَلى نَفْسِها وَ أوْلادِها ، ذَلِكَ الأمانُ الَّذي لَمْ تَعُدْ تُحِسُّهُ في الدّارِ ، وَلا في نَظَراتِ «أسْماءَ» ، وَلا في حَديثِ النِّسْوَةِ مِنْ بَني عَبْسٍ اللاتي ازْدَدْنَ تَعالِيًا وَكِبْرًا ، وَلا في حَرَكاتِ الجَواري وَالإماءِ مِنْ عَبيدِ بَني عَبْسٍ اللاتي كُنَّ يَنْظُرْنَ إلَيْها في حَذَرٍ وَخَوْفٍ .

وَ كانَتْ لَحَظاتُ الفَجْرِ الرَّقيقَةُ الهَواءِ قَدْ مَضَتْ مِنْ زَمَنٍ ، وَ بَدَأتِ الشَّمْسُ تُرْسِلُ حَرَّها اللافِحَ الَّذي يَزْدادُ مَعَ مُرورِ السّاعاتِ حِدَّةً وَ شِدَّةً . وَ تَلَفَّتَتْ حَوْلَها تَنْشُدُ مَكانًا يُتيحُ لَها بَعْضَ الظِّلِّ ، فَوَجَدَتْ أكَمَةً مُخْضَرَّةً تَقِفُ في بَسالَةٍ وَسَطَ الصَّحْراءِ الجَرْداءِ ، وَ شُجَيْراتُها القَصيرَةُ تَتَحَدّى الرِّمالَ وَ الجَفافَ وَ الشَّمْسَ اللافِحَةَ ، فَاتَّجَهَتْ تَسوقُ أغْنامَها إلَيْها . وَ عِنْدَما وَصَلَتْ إلى الشُّجَيْراتِ وَجَدَتْ أوْلادَها قَدْ سَبَقوها إلى

هُناكَ ، وَ أقاموا لَها مِنَ العِصِيِّ وَ المُلاءاتِ ظُلَّةً صَغيرَةً في ظِلِّ الشُّجَيْراتِ القَليلَةِ ، وَ وَضَعوا لَها حَجَرًا وَسَطَها غَطُّوهُ بِالمُلاءاتِ ، فَجَلَسَتْ وَهِيَ تَتَلَفَّتُ حَوْلَها تَسْتَوْعِبُ المَكانَ كُلَّهُ بِعَيْنَيْها : الرِّمالُ المُنْبَسِطَةُ تَكادُ تَحْتَرِقُ تَحْتَ وَهَجِ الشَّمْسِ ، وَمِنْ بَعيدٍ تَلٌّ صَغيرٌ ، ثُمَّ جَبَلٌ عالٍ ، وَراءَهُ وادي السِّباعِ الَّذي يَخْشاهُ كُلُّ الرُّعاةِ ، فَفيهِ تَعيشُ لَبُؤَةٌ مُخيفَةٌ وَ أَشْبالُها الصِّغارُ ، وَ كَمْ سَرَقَتْ هَذِهِ اللَّبُؤَةُ النَّومَ مِنْ عُيونِ حُرّاسِ الإِبِلِ وَ الجِيادِ ، فَهِيَ تَكْمُنُ حَيْثُ لا يَتَوَقَّعُها أَحَدٌ ، وَ لا تَخْتارُ صَيْدَها إِلّا مِنْ أَسْمَنِ الماشِيَةِ وَ أَجْوَدِها ، ثُمَّ تُفاجِئُ فَريسَتَها فَجْأَةً ، فَإِذا هِيَ صَريعَةٌ تَتَخَبَّطُ ، وَ تَجُرُّها جَرًّا ، أيا كانَ حَجْمُها وَ ثِقْلُ جَسَدِها ، إِلى مَخْبَئِها الَّذي لا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ لِتُطْعِمَ لَحْمَهُ لأَشْبالِها الصِّغارِ . وَهِيَ لا تَعْبَأُ بِمَنْ يَتَصَدّى لَها مِنَ الرُّعاةِ ، فَهِيَ تَفْتِكُ بِهِمْ كَما تَفْتِكُ بِفَرائِسِها مِنَ الماشِيَةِ ، وَ هِيَ تَحْمِلُهُمْ حَمْلاً إِلى أَشْبالِها ، فَيَجْعَلونَ مِنْهُمْ طَعامَ يَوْمِهِمْ . وَ أَحْيانًا كانَتْ تُفَضِّلُ أَنْ تَكونَ فَرائِسُها مِنَ الآدَمِيِّينَ ، فَمُنْذُ ذاقَتْ طَعْمَ اللَّحْمِ البَشَرِيِّ وَهِيَ تَقْطَعُ الطَّريقَ عَلى المُسافِرِ المُنْفَرِدِ ، تَفْتِكُ بِهِ وَ بِحِصانِهِ ، أَيًّا كانَ بَأْسُهُ وَ أَيًّا كانَتْ شَجاعَتُهُ .

وَ اقْشَعَرَّ بَدَنُ « زَبيبَةَ » وَ هِيَ تَتَذَكَّرُ تِلْكَ الحِكاياتِ المُخيفَةَ الَّتي كانَ العَبيدُ يَحْكونَها في سَمَرِهِمْ .

قالَ « جَريرٌ » : « الماءُ إلى جِوارِكِ ، يا أُمُّ .» في حين كانَ « شَيْبوبٌ » يَضَعُ إلى جِوارِها ما جاءَ بِهِ مِنْ زادٍ ، وَيَقولُ : « وَ هَذا ما أَعْدَدْتِهِ لَنا مِنْ طَعامٍ . بَعْدَ أَنْ يَنْتَصِفَ النَّهارُ بِقَليلٍ سَنَعودُ هُنا إِلَيْكِ لِنَأْكُلَ مَعَكِ ، فَإِنْ تَأَخَّرْنا عَلَيْكِ فَلا تَنْتَظِري رُجوعَنا وَ كُلي وَحْدَكِ .»

وَ كانَ هَذا أَمْراً عادِيًّا يَحْدُثُ كُلَّ يَوْمٍ ، إِمّا يَأْكُلونَ مَعاً وَإِمّا يَأْكُلُ كُلٌّ وَحْدَهُ ، وَ لَكِنَّها لا تَدْري لِماذا تَخْشى هَذا النَّهارَ ، وَ بِهَذا الإِحْساسِ الغَريبِ الَّذي دَفَعَها إِلى الابْتِعادِ كُلَّ هَذا البُعْدِ عَنِ الحِلَّةِ ، فَقالَتْ « زَبيبَةُ » : « بَلْ تَحْضُرونَ جَميعاً لِنَأْكُلَ مَعاً ، وَلا تَبْتَعِدوا كَثيراً عَنْ هَذا المَكانِ .» وَ بَعْدَ لَحَظاتٍ أَضافَتْ : « وَ حَذارِ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ وادِيَ السِّباعِ .»

ضَحِكَ « شَيْبوبٌ » وَ هُوَ يُغادِرُها مُسْرِعاً ، وَ قالَ : « لا تَقْلَقي ، يا أُمُّ ، وَ سَنُحاوِلُ أَنْ نَكونَ مَعَكِ عِنْدَ الغَداءِ .»

وَ صَحِبَ « جَريراً » مَعَهُ ، ثُمَّ أَسْرَعا يَجْرِيانِ تُجاهَ باقي القَطيعِ الَّذي أَوْقَفَهُ « عَنْتَرَةُ » عَلى بُعْدٍ مِنْ مَكانِها .

وَ أخَذَتْ « زَبيبَةُ » تَتْبَعُهُما بِعَيْنَيْها وَهُما يُسابِقانِ الرِّيحَ ، وَلَمْ تَمْلِكْ نَفْسَها مِنْ الابْتِسامِ . لَقَدْ كَبِرَ « جَريرٌ » وَ « شَيْبوبٌ » ، وَ غَدَوا قَوِيَّيْنِ ماهِرَيْنِ ، وَ هَذِهِ السُّرْعَةُ في جَرْيِهِما تَجْعَلُهُما يَتَفَوَّقانِ بِها عَلى كِرامِ الخَيْلِ ، وَخاصَّةً « شَيْبوباً » الصَّغيرَ ، ذَلِكَ الماكِرَ الذَّكِيَّ الَّذي يُتْقِنُ كُلَّ الحِيَلِ ، وَ لا يَتَوَرَّعُ عَنِ اخْتِراعِ الأكاذيبِ .

إنَّهُ يَخْتَلِفُ تَماماً عَنْ « عَنْتَرَةَ » ، وَ « عَنْتَرَةُ » عَلى ذَكائِهِ لا يَعْرِفُ الخِداعَ أوِ المُوارَبَةَ ، وَ لا يَعْرِفُ الكَذِبَ. « عَنْتَرَةُ » صَريحٌ كَضَوْءِ هَذا النَّهارِ ، مَكْشوفٌ لِكُلِّ عَيْنٍ كَرَمْلِ هَذِهِ الصَّحْراءِ المُمْتَدَّةِ ، نَقِيُّ السَّريرَةِ كَماءِ هَذِهِ العَيْنِ الرَّقْراقِ . كَمْ تَخْشى عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، قَبْلَ أنْ تَخْشى عَلَيْهِ مِنَ الآخَرينَ، فَهُوَ رَقيقٌ في أعْماقِهِ رِقَّةً غَريبَةً ، لا يُطيقُ أنْ يَرى إنْساناً يَتَألَّمُ ، وَ تَهُزُّهُ الكَلِماتُ ، وَ تَأسِرُهُ ابْتِسامَةٌ رَقيقَةٌ ، وَ يُؤَرِّقُهُ الجَمالُ ! هِيَ تَعْرِفُهُ . أ لَيْسَتْ أمَّهُ ؟ تَراهُ يُتابِعُ بِعَيْنَيْهِ « عَبْلَةَ » ابْنَةَ « مالِكِ بْنِ قُراد » ، وَفي عَيْنَيْهِ شَيْءٌ كَالإِجْلالِ وَ الحُبِّ الصّافي العَميقِ . يَقومُ لِقِيامِها ، وَ يَمْشي لِمَشْيِها ، وَ يَجْلِسُ حينَ تَجْلِسُ ، وَ في العَيْنِ سِرٌّ مَكْشوفٌ ، إنْ خَفِيَ عَلى كُلِّ النّاسِ فَلَنْ يَخْفى عَلى عَيْنَيْ أمٍّ تُحِبُّ ابْنَها ،

وَ تعْرِفُ سَرِيرَتَهُ وَ حَنايا قَلْبِهِ ، وَ مَعْنى خَفْقِ هَذا القَلْبِ .

وَ تَنَهَّدَتْ « زَبيبَةُ » . إِنَّهُ حُبٌّ يائِسٌ ، حُبُّ « عَنْتَرَةَ » هَذا، فَـ « عَبْلَةُ » بَعيدَةٌ عَنْهُ ، كَقُرْصِ الشَّمْسِ المُتَوَهِّجِ البَعيدِ ، مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ أَعْشى عَيْنَيْهِ بِوَهَجِهِ ، وَلَكِنَّهُ – عَلى هَذا – الدِّفْءُ وَالحَياةُ . وَ ماذا سَتَفْعَلُ ؟ هِيَ عاجِزَةٌ عَنِ الوُقوفِ إِلى جِوارِ هَذا الحُبِّ الوَليدِ . كَمْ تُحِبُّ « عَبْلَةَ » ! لَقَدْ حُرِمَتْ مِنْ إِنْجابِ البَناتِ ؛ فَهِيَ لَمْ تُنْجِبْ إِلّا الصِّبْيانَ .كَمْ كانَتْ تَحْلُمُ بِطِفْلَةٍ صَغيرَةٍ رَقيقَةٍ « كَعَبْلَةَ »، تُلاعِبُها وَتُضَفِّرُ لَها شَعْرَها ، وَ تَضَعُ لَها زَهَراتٍ في هَذا الشَّعْرِ !

***

كانَ « مالِكُ بْنُ قُراد » هُوَ أَوَّلَ مَنْ لَمَحَ الخِباءَ الَّذي جَلَسَتْ فيهِ « زَبيبَةُ » ، فَرَدَّ فَرَسَهُ بِعُنْفٍ حَتّى كادَ يَصْطَدِمُ بِالفارِسِ الَّذي يَسيرُ وَراءَهُ ، وَ رَفَعَ يَدَهُ وَ هُوَ يَقولُ : « ها هُوَ الخِباءُ وَ « زَبيبَةُ » تَحْتَهُ ، وَلا أَحَدَ مِنَ العَبيدِ الصِّغارِ مَعَها . لَوْ تَقَدَّمْنا أَكْثَرَ مِنْ هَذا لَرَأَتْنا .»

وَ أَوْقَفَ الجَميعُ خُيولَهُمُ الَّتي أَخَذَتْ تَموجُ في حَرَكاتٍ عَصَبِيَّةٍ ، تَحْتَ الأَيْدي الحازِمَةِ الَّتي تُمْسِكُ بِأَلْجِمَتِها ، وَ تَمْنَعُها مِنَ الحَرَكَةِ . وَ تَقَدَّمَ « شَدّادٌ » حَتّى حاذى

« مالِكًا » ، وَ ظَلَّلَ عَيْنَيْهِ بِيَدِهِ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ ، وَ قالَ وَهُوَ يُحَدِّقُ في الأَكَمَةِ البَعيدَةِ : « لا بُدَّ أَنَّ الأَوْلادَ عَلى مَقْرَبَةٍ ، فَلْنَلْزَمِ الحَذَرَ وَلْنَتَّجِهْ إِلى التَّلِّ .»

قالَ «عامِرُ بْنُ ناقِد» :« هَذا التَّلُّ وَراءَهُ وادي السِّباعِ !»

ضَحِكَ « الحَرْثُ بْنُ شماخ » ، وَ هُوَ يَلْوي عُنُقَ جَوادِهِ وَيَتَّجِهُ ناحِيَةَ التَّلِّ : « لَسْنا وَراءَ لَبُؤَةِ الوادي ، وَ إِنَّما نَحْنُ وَراءَ جَرْوٍ حَقيرٍ مِنْ سودِ عَبيدِنا .» وَ لوى باقي الفُرْسانِ أَعِنَّةَ جِيادِهِمْ ، وَ تَبِعوهُ في صَمْتٍ .

***

قالَ « شَيْبوبٌ » : « هَلِ ابْتَعَدْنا كُلَّ هَذا الابْتِعادِ عَنْ عَبْسٍ وَ مَنازِلِها لِنَسْمَعَ مِنْكَ شِعْرًا في آسِرَتِكَ « عَبْلَةَ »؟ أَنْتَ تَهْزِلُ في وَقْتِ الجِدِّ ، يا « عَنْتَرَةُ » !»

رَفَعَ « عَنْتَرَةُ » رَأْسَهُ إِلَيْهِ ، وَ قالَ : « إِنَّها لا تُفارِقُني أَبَدًا، إِنْ لَيْلاً وَ إِنْ نَهارًا .»

قالَ « شَيْبوبٌ » مُتَسائِلاً في حَيْرَةٍ وَ هُوَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ : « مَنْ هِيَ الَّتي لا تُفارِقُكَ أَبَدًا ، إِنْ لَيْلاً وَ إِنْ نَهارًا ؟»

« صورَةُ « عَبْلَةَ » .»

وَ سَكَتَ « شَيْبوبٌ » ، وَ هُوَ يُحَدِّقُ النَّظَرَ في وَجْهِ « عَنْتَرَةَ » في دَهْشَةٍ ، ثُمَّ قالَ : « لَسْتُ أَفْهَمُكَ ، يا « عَنْتَرَةُ » . أَنْتَ في هَذا الغَضَبِ الَّذي يُحاصِرُكَ مِنْ فُرْسانِ القَبيلَةِ ، وَ هَذا الحَذَرِ الَّذي يُعامِلُكَ بِهِ عَبيدُها ، أَمْ في « عَبْلَةَ » وَ صورَةِ « عَبْلَةَ » ؟»

قالَ عَنْتَرَةُ : « لَوْ أَنّي لَمْ أَكُنِ ابْنَ « زَبيبَةَ » الأَمَةِ ، لَوْ أَنَّ أَبي اعْتَرَفَ بِأُبُوَّتِهِ لي ، لَوْ أَنَّ أَسْماءَ قَلَّلَتْ مِنْ كَراهِيَتِها لِلَوْني وَ عُبودِيَّتي !»

صاحَ « شَيْبوبٌ » في ضيقٍ مُقاطِعًا إِيّاهُ : « وَ ماذا سَنَأْخُذُ مِنْ لَوْ ، لَوْ أَنَّكَ لَمْ تَقْتُلْ « داجِيًا » ، لَوْ أَنَّكَ لَمْ تَفْتِكْ « بِضاجِرٍ » ، لَوْ أَنَّكَ لَمْ تُغْضِبِ الأَميرَ « شاس »، لَوْ أَنَّكَ لَمْ تُحْنِقِ « الرَّبيعَ بْنَ زِيادٍ » ؟»

رَفَعَ « عَنْتَرَةُ » رَأْسَهُ مِنْ إِطْراقَتِها ، وَ قالَ في حِدَّةٍ : «كَفى ، يا « شَيْبوبُ » ، مَنْ يَسْمَعُكَ يَظُنُّ أَنَّني قاتِلٌ سَفّاكٌ لا يُراعي حُرْمَةً وَلا يُقيمُ وَزْنًا لِأَرْواحِ الآخَرينَ . أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ الأَمْرَ في كُلِّ حالَةٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ صُنْعي ، وَ إِنَّما ... »

« إِذَنْ كُفَّ عَنْ (لَوْ) هَذِهِ ، وَ كَفى هَذا العُبوسَ وَ الإِطْراقَ .»

نَهَضَ « عَنْتَرَةُ » مِنْ جِلْسَتِهِ ، وَ نَفَضَ التُّرابَ عَنْ ثِيابِهِ ، وَأَخَذَ يَجولُ بِبَصَرِهِ حَوْلَهُ يَتَأَمَّلُ التِّلالَ وَ الهِضابَ ، وَقالَ : « سَأُريحُكُما مِنْ وَجْهي ، فَأَنا الآنَ في دُنْيا الشِّعْرِ ، وَ لَنْ تَطيبَ لَكُما رُؤْيَتي إِلّا بَعْدَ أَنْ أَفْرَغَ مِنْ صِياغَةِ ما في قَلْبي مِنْ حَديثٍ .»

أَشارَ بِيَدِهِ إلى الوادي البَعيدِ وَ قالَ : « سَأَذْهَبُ إِلى هَذا الوادي أَخْلو فيه إلى نَفْسي وَ إِلىٰ شِعْري ، وَ لْتَهْتَمَّ أَنْتَ « وَ جَريرٌ » بِهَذِهِ الإِبِلِ ، فَلَيْسَ لي رَغْبَةٌ أَنْ أُراعِيَ شَيْئاً الآنَ ، غَيْرَ نَظْمِ الكَلِماتِ .»

صاحَ « شَيْبوبٌ » بِانْفِعالٍ : « هَذا الوادي ؟ أَنْتَ جُنِنْتَ ، هَذا وادي السِّباعِ لا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ وَ يَخْرُجُ مِنْهُ أَبَداً .»

ضَحِكَ « عَنْتَرَةُ » وَ هُوَ يَقولُ : « وادي السِّباعِ هَذا ، يا « شَيْبوبُ » ، أَرْحَمُ عَلى يائِسٍ مِثْلي مِنْ وادي الآدَمِيِّينَ .»

وَ هَزَّ كَتِفَيْهِ في اسْتِهانَةٍ ، وَ عادَ يَقولُ : « نَحْنُ في هَجيرِ النَّهارِ ، وَ لَمْ نَسْمَعْ مِنْ قَبْلُ أَنَّ اللَّبُؤَةَ تَتْرُكُ مَكْمَنَها في هَذِهِ الشَّمْسِ اللّافِحَةِ .»

قالَ « جَريرٌ » مُحَذِّراً : « إِلّا إِذا كانَتْ جائِعَةً ، وَ كانَ أَشْبالُها جَوْعى ، فَهِيَ لَنْ تَأْبَهَ بِالشَّمْسِ وَ لا بِالهَجيرِ .»

عادَ « عَنْتَرَةُ » يَقولُ في لَهْجَةِ الاسْتِهانَةِ وَ الاسْتِهْتارِ : « إذا كانَتْ جائِعَةً ، فَأنا جائِعٌ . وَ إذا كانَ القانونُ هُنا : « المُنْتَصِرُ يَأكُلُ المَهْزومَ » ، فَهُوَ قانونٌ مَفْهومٌ وَ صَريحٌ ، وَ أنا أحْتَرِمُهُ ، وَ لَنْ ألومَها .»

قالَ « شَيْبوبٌ » في ضيقٍ : « كَفى جَدَلاً ، اِذْهَبْ مَكانَ ما تَشاءُ ، فَلَسْنا نَخْشى السِّباعَ ، إنَّما نَخْشى عَلَيْكَ مِنَ الآدَمِيِّينَ ، وَ سَأوغِلُ أنا شَرْقًا حَتّى تُصْبِحَ عَيْني عَلى الأكَمَةِ الَّتي تَجْلِسُ فيها « زَبيبَةُ » ، أمّا أنْتَ ، يا « جَريرُ » ، فاتَّجِهْ غَرْبًا . وَ إيّاكَ أنْ تَفوتَكَ حَرَكَةٌ تَحْمِلُ شَرًّا تَأتي مِنْ ناحِيَتِكَ .»

وَ وَقَفَ الأخَوانِ يَرْقُبانِ « عَنْتَرَةَ » وَ هُوَ يَسيرُ بِبُطْءٍ نَحْوَ الوادي ، ثُمَّ تَبادَلا نَظَراتٍ خائِفَةً حينَ اخْتَفى عَنْ أعْيُنِهِما مَعَ انْحِناءَةِ الوادي . وَ هَزَّ « شَيْبوبٌ » كَتِفَيْهِ في اسْتِسْلامٍ ، وَ قالَ : « لا فائِدَةَ مِنْ إبْعادِهِ عَمّا انْتَوى ، وَ هُوَ يُريدُ الوَحْدَةَ ، وَ في هَذا الوادي المُخيفِ . هُوَ حِسُّ الشُّعَراءِ وَجُنونُ الشُّعَراءِ ، وَ عَلَيْنا أنْ نُراقِبَهُ وَ نَكونَ عَلى حَذَرٍ .» ثُمَّ أشارَ بِيَدِهِ فَانْطَلَقَ « جَريرٌ » إلى الغَرْبِ في حينَ أخَذَ هُوَ يَمْشي بِبُطْءٍ ناحِيَةَ الشَّرْقِ .

***

تَرَجَّلَ « شَدّادٌ » عَنْ جَوادِهِ ، وَ قالَ : « نَتَرَجَّلُ هُنا ، فَلَنْ نَتمَكَّنَ مِنَ التَّسَلُّلِ نَحْوَهُ وَ نَحْنُ عَلى صَهَواتِ الخَيْلِ .» وَ فَعَلَ الفُرْسانُ مِثْلَهُ ، وَ رَبَطوا خُيولَهُمْ إلى وَتِدٍ دَقّوهُ في الرِّمالِ ، ثُمَّ تَحَوَّلوا يَدورونَ حَوْلَ الرّابِيَةِ .

قالَ « مالِكُ بْنُ قُراد » :« يَنْبَغي أَنْ نُباغِتَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَتَوَقَّعُ ، ثُمَّ نَسْتَلَّ سُيوفَنا بِلا تَرَدُّدٍ وَ قَبْلَ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ سِلاحٍ ، ثُمَّ نَقْضِيَ عَلَيْهِ بِضَرَباتِنا المُشْتَرَكَةِ .»

ضَحِكَ «عامِرُ بْنُ ناقِد» ، وَ قالَ :« عَلَيْنا أَنْ نَجِدَهُ أَوَّلاً ، فَهُوَ وَسْطَ هَذِهِ الصَّحْراءِ وَ التِّلالِ كَقَشَّةٍ في كَوْمَةِ تِبْنٍ .»

فَقالَ « شَدّادٌ » : « نَتَفَرَّقُ إِذَنْ ، وَ لْيَأْخُذْ كُلُّ واحِدٍ مِنّا شِعْبًا مِنْ شِعابِ الوادي ، وَ مَنْ وَجَدَهُ مِنّا أَوَّلاً ، يُسْرِعْ إلى هَذِهِ النُّقْطَةِ ، وَ يَنْبَحْ كَنُباحِ الكِلابِ ، فَإِنْ سَمِعْنا النُّباحَ ، عُدْنا كُلُّنا نَتَجَمَّعُ هُنا قَبْلَ أَنْ نَذْهَبَ وَراءَهُ .»

قالَ « عامِرُ بْنُ ناقِد » : « نِعْمَ الرَّأْيُ ، وَ لْيَكُنِ النُّباحُ ثَلاثَ مَرّاتٍ ثُمَّ سَكْتَةً طَويلَةً ، ثُمَّ يَتَكَرَّرُ هَذا الأَمْرُ ثَلاثَ مَرّاتٍ أُخْرى ، فَنَعْرِفُ أَنَّها العَلامَةُ المَقْصودَةُ .»

قالَ « مالِكٌ » : « هَيّا بِنا ، ماذا نَنْتَظِرُ ؟ سَأَدْخُلُ أنا مِنْ هَذا الشِّعْبِ ، وَ لْيَخْتَرْ كُلٌّ مِنْكُمُ الشِّعْبَ الَّذي يُريدُ ، وَ لْنَلْزَمِ الحَذَرَ ؛ فَهَذا الشَّيْطانُ ماكِرٌ وَ خَبيثٌ ، وَ أَخَواهُ أَشَدُّ مِنْهُ مَكْراً وَ خُبْثاً .»

كانَ « عامِرُ بْنُ ناقِد » هُوَ أَوَّلَ مَنْ رَأى « عَنْتَرَةَ » يَجْلِسُ فَوْقَ صَخْرَةٍ ، تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ في وادي السِّباعِ ، وَ كانَ « عامِرٌ » يَسيرُ شاهِراً سَيْفَهُ ، مُتَلَفِّتاً حَوْلَهُ في رِيبَةٍ وَ حَذَرٍ وَهُوَ يَتَقَدَّمُ مُتَفَحِّصاً ما حَوْلَهُ ، حينَ وَقَعَ بَصَرُهُ فَجْأَةً عَلى « عَنْتَرَةَ » ، فَجَمَدَ في مَكانِهِ وَهُوَ لا يُصَدِّقُ عَيْنَيْهِ . كانَ الصَّبِيُّ يَجْلِسُ هائِماً فَوْقَ صَخْرَةٍ ، وَ كَأَنَّهُ لا يُبالي بِما حَوْلَهُ ، وَ كانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بَيْنَ الحينِ وَ الحينِ ، يَقولُ كَلاماً لا يَظْهَرُ عَنْهُ ، وَ إِنَّما يَسْمَعُهُ هُوَ وَحْدَهُ في داخِلِهِ ، ثُمَّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ بِكَفِّهِ في إيقاعٍ رَتيبٍ حيناً ، مُنْدَفِعٍ حيناً ، وَ يَتَمايَلُ وَ يَهْتَزُّ ، ثُمَّ يَسْكُنُ وَ يَعودُ يُحَدِّقُ العَيْنَيْنِ إلى السَّماءِ وَ كَأَنَّهُ لا يَرى شَيْئاً .

كانَ « عامِرٌ » يَعْرِفُ الخَطَرَ الَّذي يَتَعَرَّضُ لَهُ الصَّبِيُّ الَّذي يَجْلِسُ وَحيداً وَ أَعْزَلَ ، كَما يَبْدو ، في هَذا الوادي الشَّهيرِ بِسِباعِهِ وَ ذِئابِهِ وَ لَبُؤَتِهِ القاتِلَةِ ، وَ ارْتَسَمَتْ عَلى شَفَتَيْهِ

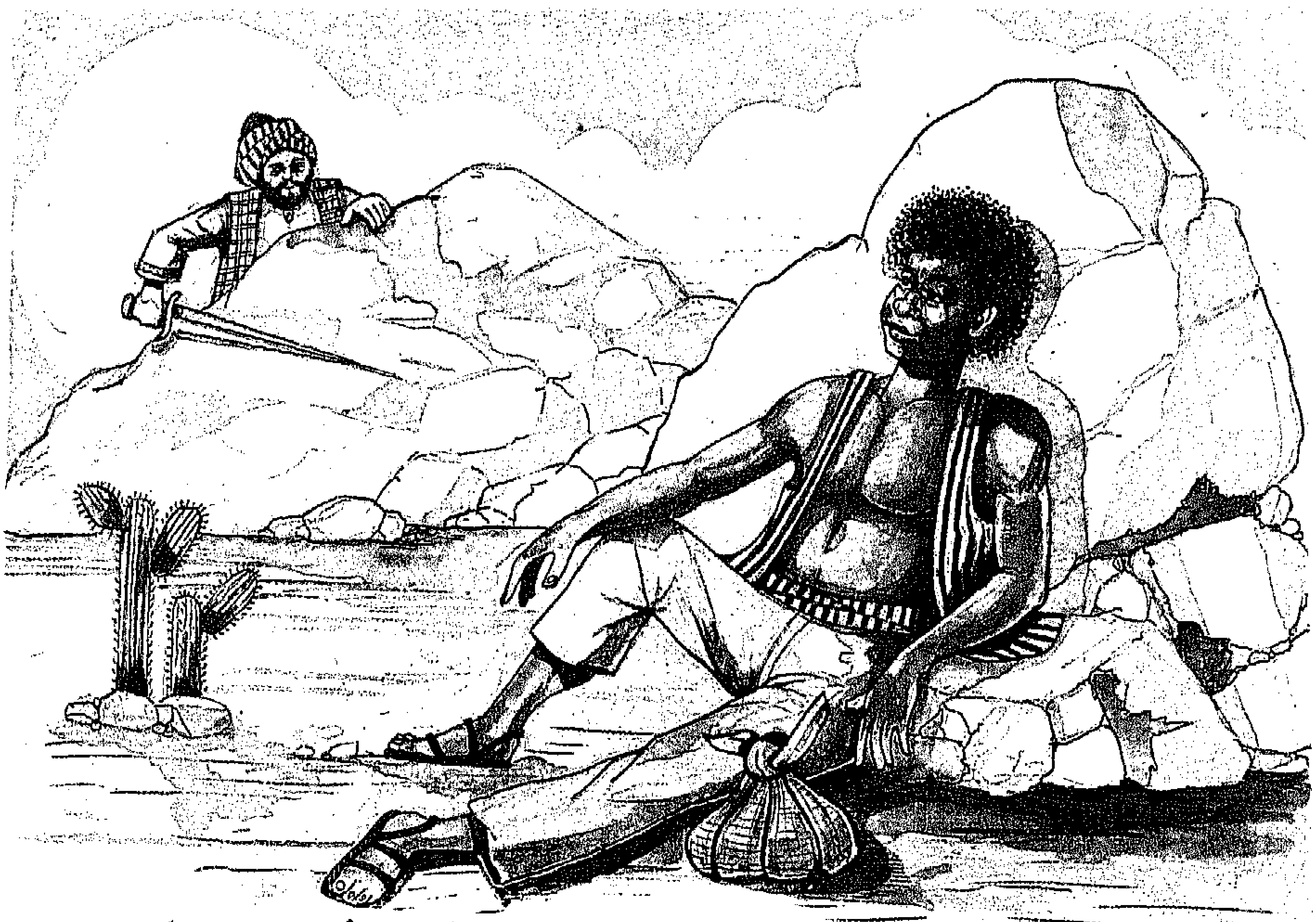

ابْتِسامَةٌ تَجْمَعُ بَيْنَ المَرارَةِ وَ الإشْفاقِ وَ هُوَ يَنْسَحِبُ كَما جاءَ، بِلا صَوْتٍ وَ لا حَرَكَةٍ تَكْشِفُ عَنْ وُجودِهِ في هَذا المَكانِ . وَ ظَلَّ يَتَراجَعُ بِظَهْرِهِ إلى أنْ آمَنَ ابْتِعادَهُ عَنْ نَظَرِ « عَنْتَرَةَ » ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إلى الشِّعْبِ الَّذي قادَهُ إلى الوادي ، وَ أسْرَعَ إلى مَكانِ اللِّقاءِ المُحَدَّدِ بَيْنَ الفُرْسانِ .

***

أخَذَ « شَيْبوبٌ » يَسْأَلُ نَفْسَهُ عَنْ مَعْنى وُجودِ هَذِهِ الخَيْلِ المُلْجَمَةِ وَ المُسْرَجَةِ في هَذا المَكانِ المُنْعَزِلِ ، وَلَمْ يَجِدْ أمامَهُ إلّا إجابَةً واحِدَةً : هُناكَ إذَنْ فُرْسانٌ يَتَحَرَّكونَ عَلى أقْدامِهِمْ في

هَذِهِ النّاحِيَةِ ، وَ لا يَتَحَرَّكُ الفُرْسانُ عَلى أَقْدامِهِمْ وَسْطَ الصَّحْراءِ وَ التِّلالِ إلّا إذا كانوا يُبَيِّتونَ لأَمْرٍ خَطيرٍ ! وَ لكِنَّ الخَيْلَ عادَتْ تَشُدُّ انْتِباهَهُ مِنْ جَديدٍ ، وَ سَرْعانَ ما اسْتَطاعَ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَها حِصانَ شَدّادٍ وَ حِصانَ مالِكٍ . وَ لَمْ يَعُدْ عِنْدَهُ شَكٌّ في هُوِيَّةِ الفُرْسانِ الَّذينَ تَرَكوا هَذِهِ الخُيولَ وَراءَهُمْ ، كَما لَمْ يَعُدْ عِنْدَهُ شَكٌّ في هَدَفِهِمْ مِنَ المَجيءِ إلى هَذا المَكانِ ، وَ التَّحَرُّكِ عَلى الأَقْدامِ بَدَلاً مِنْ فَوْقِ صَهَواتِ الخُيولِ . إنَّهُ « عَنْتَرَةُ » ، هَدَفُ هَذِهِ الجَماعَةِ ، وَ هُوَ وَحْدَهُ هُناكَ في الوادي يَكْتُبُ الشِّعْرَ ، وَ يَحْلُمُ « بِعَبْلَةَ » ، وَ لا يُبالي خَطَرَ السِّباعِ .

وَ ضَحِكَ شَيْبوبٌ في سُخْرِيَةٍ ؛ لَقَدْ أَتاهُ السِّباعُ ، وَلَكِنَّهُمْ لا يَسيرونَ عَلى أَرْبَعٍ ، بَلْ يَسيرونَ فَوْقَ قَدَمَيْنِ حَذِرَتَيْنِ ماكِرَتَيْنِ ، تُريدانِ أَنْ تُفاجِئَهُ وَحيداً ، وَ أَنْ تَقْتُلَهُ في صَمْتٍ. مَنْ يَدْري ؟ رُبَّما أَشاعوا أَنَّ اللَّبُؤَةَ فَتَكَتْ بِهِ وَ حَمَلَتْ جُثَّتَهُ إلى أَشْبالِها طَعاماً مُباحاً . وَ ضَحِكَ في مَرارَةٍ ، وَ هُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُمْ رُبَّما أَكَلوهُ هُمْ أَنْفُسُهُمْ لَوْ كانَ شَيْئاً يُؤْكَلُ . ثُمَّ جَمَعَ حَواسَّهُ المُبَعْثَرَةَ وَهُوَ يُحاوِلُ أَنْ يَصِلَ إلى قَرارٍ في الخُطْوَةِ التّالِيَةِ الَّتي يَجِبُ أَنْ يَخْطُوَها ، هَلْ يُسْرِعُ إلى « عَنْتَرَةَ »

فَيُحَذِّرَهُ ، أَمْ يَتَّبِعُ آثارَهُمُ الواضِحَةَ فَوْقَ الرِّمالِ لِيَعرِفَ أَيْنَ هُمْ وَ ماذا يَفْعَلونَ ؟! أَمْ يُفَرِّقُ هَذِهِ الخَيْلَ وَ يُرْسِلُها بَعيداً لِيَضَعَ أَصْحابَها في مَأْزِقٍ لَمْ يَحْسُبوا حِسابَهُ ؟ وَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلى قَرارٍ سَمِعَ صَوْتَ النُّباحِ ، ثَلاثَ مَرّاتٍ ثُمَّ صَمْتاً ، ثُمَّ ثَلاثَ مَرّاتٍ وَ صَمْتاً ، ثُمَّ ثَلاثَ مَرّاتٍ أُخْرى وَ صَمْتاً كامِلاً .

وَ في أَوَّلِ الأَمْرِ دَهِشَ لِلصَّوْتِ وَ لِصُدورِهِ مِنْ وَسْطِ التِّلالِ فَلا كِلابَ هُناكَ ، وَ لا يَجْرُؤُ كَلْبٌ أَنْ يَقْتَرِبَ إِلى هَذا الحَدِّ مِنْ وادي السِّباعِ . وَ هَذَا النُّباحُ لَمْ يَصْدُرْ عَنْ كَلْبٍ ، فَالكِلابُ لا تَعْرِفُ مِثْلَ هَذا النِّظامِ في النُّباحِ . وَ لَمْ يَنْتَظِرْ « شَيْبوبٌ » طَويلاً ، بَلْ أَسْرَعَ إِلى مَصْدَرِ الصَّوْتِ يَطيرُ فَوْقَ الصُّخورِ في سُرْعَةٍ وَ حَذَرٍ .

سَمِعَ « عَنْتَرَةُ » النُّباحَ فَانْتَبَهَ مِنْ عالَمِ الكَلِماتِ وَ الأَحْلامِ وَ الشِّعْرِ ، فَلَمّا سَمِعَهُ مَرَّةً ثانِيَةً مَلأَتْهُ الدَّهْشَةُ . لَوِ الَّذي سَمِعَهُ كانَ زَئيراً أَوْ عُواءً لَكانَ هَذا أَقْرَبَ لِطَبيعَةِ المَكانِ، فَهَذا وادٍ أَقَلُّ ما فيه مِنَ الوُحوشِ الذِّئْبُ ، أَمّا نُباحُ الكِلابِ فَأَمْرٌ غَريبٌ . فَلَمّا سَمِعَ النُّباحَ لِلْمَرَّةِ الثّالِثَةِ قَفَزَ مِنْ مَكانِهِ في تَرَقُّبٍ ، وَ أَخَذَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ في حَذَرٍ . كانَ كُلُّ شَيْءٍ ساكِناً تَماماً : حَرارَةُ الشَّمْسِ لافِحَةٌ وَ لَيْسَتْ في الجَوِّ

نَسْمَةُ هَواءٍ واحِدَةٌ ، وَ كُلُّ ما حَوْلَهُ واضِحٌ في ضَوْءِ الشَّمْسِ السّاطِعِ ، وَلَيْسَ مِنْ صَوْتٍ آخَرَ ، وَلَيْسَ مِنْ حَرَكَةٍ ، وَ لكِنَّ حَذَرَهُ الغَريزِيَّ كانَ قَدْ أَيْقَظَتْهُ تِلْكَ الأَصْواتُ الغَريبَةُ عَلى الوادي وَ المكانِ ؛ فَأَخْرَجَ سِكّينَهُ مِنْ مَكانِها ، حَيْثُ كانَتْ تَرْقُدُ في مِخْلاتِهِ مَلْفوفَةً بِقُماشٍ سَميكٍ ، وَ وَضَعَها إلى جِوارِهِ ، ثُمَّ تَلَفَّتَ حَوْلَهُ بَحْثاً عَنْ سِلاحٍ آخَرَ يَصْلُحُ لِمُواجَهَةِ العَدُوِّ وَ مُهاجَمَتِهِ عَنْ بُعْدٍ . وَ رَأى أَمامَهُ غُصْنَ شَجَرَةٍ سَميكاً مُلْقًى إلى ناحِيَةٍ لَعَلَّ بَرْقاً أَحْرَقَهُ مِنْ جِذْعِ الشَّجَرَةِ ، وَلَعَلَّ ريحاً رَمَتْهُ بَعيداً هُنا ، وَلكِنَّهُ كانَ غَليظاً وَ سَميكاً وَ ثَقيلاً في يَدِهِ حينَ رَفَعَهُ عَنِ الأَرْضِ . وَ أَمْسَكَ سِكّينَهُ في يَدٍ وَ الغُصْنَ في يَدٍ ، وَ أَخَذَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ في حَذَرٍ ، وَ هُوَ يَنْظُرُ في جَوانِبِ الصُّخورِ ، وَ يَتَحَرَّكُ في الوادي بِحَذَرٍ .

وَ فَجْأَةً حينَ رَفَعَ بَصَرَهُ إلى أَعْلى رَآها أَمامَهُ ، تَجْثُمُ في تَحَفُّزٍ فَوْقَ صَخْرَةٍ عَلى حافَةِ مُنْحَنًى مِنْ مُنْحَنَياتِ الوادي . وَتَسَمَّرَ « عَنْتَرَةُ » في مَكانِهِ يَتَأَمَّلُ الصّورَةَ الغَريبَةَ الرّائِعَةَ الَّتي تُطالِعُهُ .كانَ لا يَزالُ يُحِسُّ إحْساسَ الشّاعِرِ الَّذي كانَهُ مُنْذُ لَحَظاتٍ ، وَ لِهذا رَأى في الجَسَدِ المُنْسابِ جَمالاً ، وَ في

المَخالِبِ المُتَحَفِّزَةِ رَوْعَةً ، وَ في الوَجْهِ المُتَطَلِّعِ نَحْوَهُ نُبْلاً أَخّاذاً . هَمَسَ « عَنْتَرَةُ » وَ هُوَ يَتَراجَعُ : « إِنَّهُ أَنْتِ : لا ذِئْبٌ وَ لا نَمِرٌ وَ لا أَسَدٌ في جَمالِكِ وَ نُبْلِكِ وَ عَظَمَتِكِ . أَنْتِ مَلِكَةُ الوادي . أَنْتِ اللَّبُؤَةُ المُخيفَةُ القاتِلَةُ . أَنْتِ الجَلالُ وَ العَظَمَةُ وَ الشَّجاعَةُ وَ النُّبْلُ . »

وَ كَأَنَّما كانَتِ اللَّبُؤَةُ تَفْهَمُ ما يَقولُ ، إِذْ حَرَّكَتْ رَأْسَها في إِصْغاءٍ غَريبٍ لِهَذا الصَّوْتِ الصّادِرِ مِنَ الصَّبِيِّ الواقِفِ أَمامَها دونَ وَجَلٍ أَوْ خَوْفٍ ، وَ لَمْ يَجْرِ كَما تَعَوَّدَتْ مِنَ البَشَرِ ، وَ لَمْ يَصْرُخْ ، وَ لَمْ يَقَعْ فَوْقَ الأَرْضِ مُنْهاراً مِنَ

رُؤْيَتِها – فَحَرَّكَتْ ذَنَبَها في بُطْءٍ ، وَ جَعَلَتْ تَتَفَرَّسُ في هَذِهِ الفَرِيسَةِ الَّتي تُواجِهُها ، وَ قَدْ بَدَأَتْ عَضَلاتُها تَتَحَفَّزُ في اسْتِعْدادٍ وَ تَرَقُّبٍ .

كانَ « عَنتَرَةُ » كَأَنَّما سَحَرَتْهُ يَدُ ساحِرٍ عَظيمٍ ، يَنْظُرُ إلى العَيْنَيْنِ اللاّمِعَتَيْنِ في انْبِهارٍ . لَمْ يَكُنْ يَسْتَشْعِرُ خَوْفًا مِنْها ، وَ إِنَّما كانَ يَسْتَشْعِرُ نَوْعًا مِنَ التَّرَقُّبِ المُغَلَّفِ بِالبَهْجَةِ ، فَها هُوَ يُقابِلُ اللَّبُؤَةَ ، صاحِبَةَ الصِّيتِ الذَّائِعِ ، وَ الحَديثِ المُنْتَشِرِ ، وَ هُوَ لا يَخافُها ، وَ إِنَّما هُوَ يَرْقُبُها في حَذَرٍ . وَ اشْتَدَّتْ قَبْضَتُهُ عَلى الغُصْنِ الغَليظِ في يَدٍ ، وَ السِّكّينِ الحامِيَةِ في يَدٍ ، وَ هُوَ يَنْظُرُ إِلَيْها في تَحَدٍّ وَ إِصْرارٍ . وَ هَمَسَ قائِلاً لِنَفْسِهِ : « صِنْوانِ أنا وَ أَنْتِ ، يا مَلِكَةَ الوادي وَ سَيِّدَةَ الوُحوشِ . لَمْ يَمُرَّ أَحَدٌ بِجِوارِكِ إِلّا وَ قَدْ نالَتْهُ أَنْيابُكِ وَ مَخالِبُكِ ، وَ لَمْ يَعْتَرِضْ أَحَدٌ طَريقي إِلّا نالَتْهُ مَخالِبي وَ أَنْيابي ، فَماذا تُريدينَ ؟ لَيْسَ لأَحَدٍ مِنّا بَقاءٌ إِلّا في فَناءِ الآخَرِ . يا مَلِكَةُ عُذْرًا ، سامِحيني .»

وَ فَجْأَةً وَثَبَتِ اللَّبُؤَةُ دونَ إِنْذارٍ ، وَ انْحَنى « عَنْتَرَةُ » وَ غاصَ إِلى الأَرْضِ .

***

حينَ سَمعَ الفُرْسانُ نُباحَ الكَلْبِ ، ثَلاثَ مَرّاتٍ ثُمَّ صَمْتًا، وَ ثَلاثَ مَرّاتٍ ثُمَّ صَمْتًا ؛ عَرَفوا أنَّ أحَدَهُمْ عَثَرَ عَلى أثَرِ « عَنْتَرَةَ » ، فَاتَّجَهوا جَميعًا إلى المَكانِ الَّذي حَدَّدَهُ « شَدّادٌ ». وَ كانَ « شَيْبوبٌ » عِنْدَ حافَةِ الصَّخْرَةِ يَرْقُبُ الفُرْسانَ وَ هُمْ يَجْتَمِعونَ ، واحِدًا وَراءَ الآخَرِ ، الكُلُّ يَعودُ مِنْ شِعْبٍ ما ، وَ الكُلُّ يَلْتَفُّ حَوْلَ « عامِرِ بْنِ ناقِدٍ » ، وَ هُوَ يَقولُ شَيْئًا ما ، يَهْمِسُ شَيْئًا ما ، فَإذا الكُلُّ يَضَعونَ أيْدِيَهُمْ عَلى سُيوفِهِمْ وَ يَنْتَظِرونَ في تَرَقُّبٍ مَقْدَمَ الفارِسِ الأخيرِ ، حَتّى اكْتَمَلَ الجَمْعُ مُلْتَفّينَ حَوْلَ « عامِرِ بْنِ ناقِدٍ » الَّذي أخَذَ يَحْكي وَ يَتَكَلَّمُ ، وَ كانَ « شَيْبوبٌ » يَفْهَمُ الحَديثَ الدّائِرَ دونَ أنْ يَسْمَعَهُ ، وَ لَكِنَّهُ كانَ حَريصًا أنْ يَتْبَعَ الجَمْعَ وَ هُوَ يَتَّجِهُ في حَذَرٍ تُجاهَ وادي السِّباعِ . هَلْ يَعودُ فَيَقْطَعَ الخَيْلَ عَنِ الوَتَدِ الَّذي يَرْبُطُها ، أمْ يَتْبَعُ هُوَ الجَمْعَ مِنَ الفُرْسانِ الَّذي يَسيرُ في حَذَرٍ وَ تَرَقُّبٍ ؟ لَمْ يَعُدْ هُناكَ شَكٌّ : هُمْ يَسيرونَ إلى حَيْثُ يَجْلِسُ « عَنْتَرَةُ »، وَ مِنَ الواضِحِ أنَّ هَدَفَهُمْ هُوَ حَياةُ أخيهِ .

وَ لَكِنَّ « شَيْبوبًا » اسْتَمَرَّ يَتْبَعُهُمْ في صَمْتٍ ، وَ هُوَ يُعِدُّ قَوْسَهُ وَ نُشّابَهُ وَ يَنْتَظِرُ ماذا سَيَحْدُثُ مِنْ أمْرٍ . وَ لَمْ يَطُلِ

الأمْرُ ، فَبَعْدَ حينٍ أطَلَّ الفُرْسانُ عَلى السّاحَةِ الَّتي وَقَفَ فيها « عَنْتَرَةُ » في مُواجَهَةِ اللَّبُؤَةِ ، وَ كانَ « شَيْبوبٌ » يَنْقُلُ بَصَرَهُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُمْ ، حينَ وَثَبَتِ اللَّبُؤَةُ مِنْ فَوْقِ الصَّخْرَةِ ناحِيَةَ « عَنْتَرَةَ » .

وَ صَمَتَ الجَميعُ في خَوْفٍ كامِلٍ اشْتَمَلَ الكُلَّ ، وَ تَيَبَّسَتْ أعْضاءُ « شَيْبوبٍ » فَلَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ يَتَحَرَّكُ ، هَلْ يُسْرِعُ إلى ناحِيَةِ « عَنْتَرَةَ » ، أمْ يوقِفُ زَحْفَ الفُرْسانِ العُتاةِ ، أمْ يَصْرُخُ وَ يَصْرُخُ حَتّى يَسْمَعَهُ أحَدٌ ، وَ أخوهُ يَموتُ تَحْتَ مَخالِبِ اللَّبُؤَةِ الجائِمَةِ الَّتي لا تَعْرِفُ رَحْمَةً ، وَ لا تُبْقي أحَدًا ؟

قالَ « شَدّادٌ » : « قِفوا هُنا ؛ اللَّبُؤَةُ تَهْجُمُ عَلى الوَلَدِ .» .

قالَ « مالِكٌ » : « سَتَقْتُلُهُ لا مَحالَةَ .»

قالَ « عامِرٌ » : « أسْرِعوا نُنْقِذْهُ إنْ كُنّا نَسْتَطيعُ هَذا .»

رَفَعَ « شَدّادٌ » يَدَهُ يَمْنَعُ الفُرْسانَ مِنَ الحَرَكَةِ ، وَ قالَ : « كُلٌّ يَلْزَمُ مَكانَهُ .»

وَ قالَ « مالِكٌ » : « سَتَفْعَلُ اللَّبُؤَةُ ما كُنّا نُريدُهُ مِنْ هَذِهِ الغَزْوَةِ . سَيَموتُ « عَنْتَرَةُ » تَحْتَ مَخالِبِ اللَّبُؤَةِ .»

صاحَ « شَيْبوبٌ » في انْفِعالٍ نَسِيَ فيهِ حَذَرَهُ وَ اخْتِفاءَهُ : « وَيْكَ ‹‹ عَنْتَرَةُ ›› ! وَيْكَ ‹‹ عَنْتَرَةُ ›› !»

وَ لَمْ يَلْتَفِتْ « عَنْتَرَةُ » إلى صِياحِ « شَيْبوبٍ » ، فَقَدْ أَلْقَمَ اللَّبُؤَةَ المُهاجِمَةَ الغُصْنَ الغَليظَ ، ثُمَّ وَثَبَ بِسُرْعَةٍ فَوْقَها وَ أَغْمَدَ سِكّينَهُ في عُنُقِها ، ثُمَّ وَثَبَ وَ السِّكّينُ يَقْطُرُ دماً ، وَ هُوَ يَجْري بَعيداً عَنْها .

وَ صَمَتَ الفُرْسانُ حَيْثُ يَقِفونَ لا يُصْدِرُ أَحَدُهُمْ صَوْتاً وَ هُمْ يَشْهَدونَ شَيْئاً مُخيفاً ، ما مَرَّ بِبالِ أَحَدِهِمْ أَبَداً : صَبِيٌّ صَغيرٌ يَحْمِلُ عَصاً وَ سِكّيناً ، يُواجِهُ لَبُؤَةَ الوادي المُخيفَةَ الَّتي لا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَبَداً عَلى مُواجَهَتِها .

وَ قالَ « شَيْبوبٌ » صارِخاً بِكُلِّ ما في صَدْرِهِ مِنْ صَوْتٍ : « وَيْكَ ‹‹ عَنْتَرَةُ ›› ! أَقْبِلْ .. أَقْبِلْ !»

وَ دَفَعَ « عَنْتَرَةُ » الغُصْنَ في الفَمِ المَفْتوحِ الرَّهيبِ لِلَّبُؤَةِ الواثِبَةِ ، ثُمَّ قَفَزَ بَعيداً عَنْها ، ثُمَّ انْثَنى يَقْفِزُ بِسُرْعَةٍ مَجْنونَةٍ فَوْقَها ، وَ غَرَسَ خِنْجَرَهُ في عُنُقِها مَرَّةً ثانِيَةً ، ثُمَّ وَثَبَ يَحْمِلُ خِنْجَرَهُ يَقْطُرُ دَماً ، وَ هُوَ فَوْقَ ساقَيْهِ أَمامَها ، يَنْتَظِرُ . وَ دارَتِ اللَّبُؤَةُ تَبْحَثُ عَنِ العَدُوِّ الصَّغيرِ . وَ اهْتَزَّ ذَيْلُها ثُمَّ نَظَرَتْ إلى الصَّبِيِّ الصَّغيرِ في ازْدِراءٍ ، ثُمَّ جَمَعَتْ قُواها وَ وَثَبَتْ مِنْ

جَديدٍ . وَ كانَ عَنْتَرَةُ يَرْقُبُها حينَ وَثَبَتْ ، فَوَثَبَ هُوَ إلى ناحيَةٍ أخْرى تَماماً ، فَوَقَعَتْ عَلى الصَّخْرِ ، وَ وَثَب مِنْ جَديدٍ فَوْقَها ، يَغْرِسُ خِنْجَرَهُ في عُنُقِها ، مِنْ جَديدٍ .

وَصَدَرَ صَوْتٌ كَالأنينِ مِنَ الفُرْسانِ المُتَجَمِّعينَ حَوْلَ مَدْخَلِ ناحيَةٍ مِنَ الوادي ، وَ هُمْ يَرْقُبونَ هَذِهِ المَعْرَكَةَ بَيْنَ اللَّبُؤَةِ المُتَوَحِّشَةِ وَ الصَّبِيِّ الأَسْوَدِ الَّذي لا يَخافُ . وَ شَخَصَتْ إلَيْهِ أبْصارُهُمْ جَميعاً وَ هُوَ يَتَفادى قَفْزَةَ اللَّبُؤَةِ مُتَقَهْقِراً في سُرْعَةٍ ، ثُمَّ يَقْفِزُ في سُرْعَةٍ مَجْنونَةٍ فَإذا هُوَ فَوْقَ ظَهْرِها مِنْ جَديدٍ يَغْرِسُ خِنْجَرَهُ في عُنُقِها ، ثُمَّ يَقْفِزُ مُسْرِعاً وَ السِّكّينُ في يَدِهِ

تَقْطُرُ دماً ، وَ هُوَ يَتَحَرَّكُ في سُرْعَةٍ إلى النّاحِيَةِ الأُخْرى ؛ يَتَحاشى هَجْمَةً جَديدَةً مِنَ الوَحْشِ الَّذي غَدا عُنُقُهُ كُلُّهُ يَقْطُرُ دماً ، ثُمَّ يَقْفِزُ فَإذا هُوَ فَوْقَ ظَهْرِ اللَّبُؤَةِ الجَريحَةِ مِنْ جَديدٍ .

وَ نَسِيَ الفُرْسانُ أَنْفُسَهُمْ ، كَما نَسِيَ « شَيْبوبٌ » صَيْحاتِهِ ، وَ اللَّبُؤَةُ تَقْفِزُ قَفَزاتٍ عالِيَةً مُحاوِلَةً التَّخَلُّصَ مِنَ الصَّبِيِّ الجاثِمِ فَوْقَ ظَهْرِها ، وَ قَدْ ثَبَّتَ رُكْبَتَيْهِ بِعُنْفٍ وَ إِصْرارٍ إِلى جانِبِها ، وَ أَصْبَحَ هُوَ وَ هِيَ شَيْئًا واحِداً ، وَخِنْجَرُهُ في اليَدِ اليُمْنى يَرْتَفِعُ وَ يَهْبِطُ وَ يَرْتَفِعُ وَ يَهْبِطُ ، في حينَ قَبَضَتْ يَدُهُ اليُسْرى عَلى عُنُقِها في اسْتِماتَةٍ ، لا يُحَرِّكُها عَنْ مَكانِها شَيْءٌ .

كانَ الأمْرُ كُلُّهُ مُذْهِلاً وَ غَريباً ، لا يَسْتَطيعُ العَقْلُ أنْ يُتابِعَهُ أوْ يَفْهَمَهُ . كَيْفَ اسْتَطاعَ الصَّبِيُّ الأسْوَدُ أنْ يُحافِظَ عَلى مَكانِهِ فَوْقَ ظَهْرِ الوَحْشِ المَجْروحِ الدّامي الغاضِبِ الحانِقِ ؟ لا يَعْرِفُ أحَدٌ ، وَ لا يَفْهَمُ أحَدٌ ، فَقَطْ رَأوْا جَميعاً، وَهُمْ بَيْنَ الوَهْمِ وَ الحَقيقَةِ ، حَرَكَةَ اللَّبُؤَةِ الكاسِرَةِ تَتَعَثَّرُ ، ثُمَّ رَأوْا جَسَدَها يَخْتَلِجُ ، ثُمَّ سَمِعوا زَئيرَها المُخيفَ كَأنَّهُ صَرْخَةُ عَذابٍ وَ يَأسٍ .

وَ حَطَّتِ اللَّبُؤَةُ إثْرَ قَفْزَةٍ طائِشَةٍ فَوْقَ الأرْضِ ، وَ عَيْناها تَدورانِ في مَحْجِرَيْهِما ، وَ ارْتَطَمَتِ اليَدُ السَّوْداءُ القَوِيَّةُ لِتُغْمِدَ الخِنْجَرَ في ضَرْبَةٍ صائِبَةٍ في أسْفَلِ العُنُقِ . وَ تَحَرَّكَ الرَّأسُ في حَرَكَةٍ لا ضابِطَ لَها ، وَ انْطَلَقَتْ حَشْرَجَةٌ مِنَ الفَمِ المَفْتوحِ ، ثُمَّ نامَتِ العَيْنانِ وَ هَمَدَتْ حَرَكَةُ الجَسَدِ، وَانْفَرَجَ تَقَلُّصُ العَضَلاتِ ، وَسَكَتَتِ اللَّبُؤَةُ المُخيفَةُ إلى الأبَدِ .

وَساد الوادي صَمْتٌ غَريبٌ : الرّيحُ كَفَّتْ عَنْ حَرَكَتِها فَسَكَتَتْ كُلُّ الأغْصانِ في مَكانِها ، وَ الشَّمْسُ أثْقَلَتْ مِنْ قَيْظِها حَتّى الْتَهَبَ كُلُّ حَجَرٍ ، وَحَتّى تَوَهَّجَتْ كُلُّ ذَرَّةِ رَمْلٍ ، « وَ عَنْتَرَةُ » راقِدٌ مَكانَهُ فَوْقَ الجَسَدِ الَّذي يَخْتَلِجُ اخْتِلاجاتِهِ الأخيرَةَ في اسْتِسْلامٍ وَ يَأسٍ ، وَ مَعْنى المَوْتِ

يَسودُ الوادِيَ كُلَّهُ ؛ فَالمَلِكَةُ الَّتي طالَما قَهرَتِ الفُرْسانَ وَ الوُحوشَ لَقِيَتْ مَصيرَها الأخيرَ ، وَ رَقَدتْ تُنْهي آخِرَ أنْفاسِ حَياتِها في زَفَراتٍ مُؤْلِمَةٍ بَطيئَةٍ ، حَزينَةٍ ، وَ الفارِسُ يَتَخَلَّصُ مِنَ الجَسَدِ المَرْمِيِّ بَيْنَ ساقَيْهِ ، وَ يَنْتَفِضُ واقِفاً وَ سِكّينُهُ في يَدِهِ تَقْطُرُ دَماً ، وَ هُوَ يَنظُرُ إلى الوَحْشِ المُسَجّى أمامَهُ في حَذَرٍ وَ تَرَقُّبٍ وَ انْتِظارٍ .

وَ فَجْأَةً انْدَفَعَ « شَيْبوبٌ » نَحْوَ أخيهِ وَهُوَ يَصْرُخُ وَ يُلَوِّحُ بِيَدَيْهِ كَالمَجْنونِ : « وَيْكَ « عَنْتَرَةُ » ! وَيْكَ « عَنْتَرَةُ » !»

صاحَ « عَنْتَرَةُ » : « اِبْتَعِدْ ، يا « شَيْبوبُ » ؛ رُبَّما كانَتْ تَخْدَعُنا وَ تَتَظاهَرُ بِالمَوْتِ .»

صاحَ « شيبوبٌ » ، وَ هُوَ يَرْقُصُ طَرَباً وَ فَرَحاً : « لَقَدْ قَتَلْتَها ، يا « عَنْتَرَةُ ». لَقَدْ قَتَلْتَ اللَّبُؤَةَ قاتِلَةَ الفُرْسانِ ، وَغَدا الوادي آمِناً . لَمْ يَعُدْ مِنَ اليَوْمِ وادِيَ السِّباعِ ، وَ إنَّما غَدا وادِيَ قاهِرِ السِّباعِ .. وادِيَ « عَنْتَرَةَ بْنِ زَبيبَةَ » .»

نَظَرَ الفُرْسانُ المُجْتَمِعونَ في جانِبٍ كُلٌّ إلى الآخَرِ ، وَقَدْ مَلأَهُمْ إحْساسٌ بِالدَّهْشَةِ وَ الخَوْفِ وَ الإعْزازِ والخَجَلِ . كانَ كُلُّ شَيْءٍ مُخْتَلِطاً أمامَهُمْ وَ في داخِلِهِمْ . وَ أطْرَقَ « شَدّادٌ » بِرأسِهِ وَ هُوَ يُغْمِدُ سَيْفَهُ الَّذي كانَ قَدِ امْتَشَقَهُ وَ هُوَ يَتَقَدَّمُ

نَحْوَ الوادي ، وَ انْسَحَبَ يَجُرُّ أَقْدامَهُ ناحِيَةَ الخَيْلِ ، وَ تَبِعَهُ باقِي الفُرْسانِ وَ هُمْ يُنَكِّسونَ رُؤوسَهُمْ، وَ يَجُرّونَ أَقْدامَهُـمْ جَرًّا .

***

عادَتْ « زَبيبَةُ » إلى الخِباءِ وَ قَدْ بَدَأَتْ تُحِسُّ بِالقَلَقِ لِغيابِ أَوْلادِها الَّذي طالَ . لَمْ تَكُنْ بِمُسْتَطيعَةٍ أَنْ تَصْرِفَ ذِهْنَها عَنْ « عَنْتَرَةَ » ، كانَ يَنْتابُها إِحْساسٌ لا تَدْري لَهُ سَبَبًا أَوْ مَنْبَعًا أَنَّهُ يَتَعَرَّضُ لِلْخَطَرِ ، وَ أَنَّهُ مُهَدَّدٌ في حَياتِهِ وَ صِباهُ، وَ وُجودِهِ الحُرِّ الطَّليقِ الَّذي رَعَتْهُ وَ أَعْطَتْهُ وَقْتَها وَ عُمْرَها كُلَّهُ .

كانَ « عَنْتَرَةُ » مُنْفَرِدًا في قَلْبِها ، وَ كانَتْ تُحِسُّ بِالتَّقْصيرِ تُجاهَ وَلَدَيْها الآخَرَيْنِ - « جَريرٍ » وَ « شَيْبوبٍ » - كُلَّما انْتابَها إِحْساسٌ بِالقَلَقِ عَلى « عَنْتَرَةَ » . رُبَّما لأَنَّهُ كانَ ابْنَ « شَدّادٍ » ، وَ « شَدّادٌ » قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلى قَلْبِها مُنْذُ اللَّحْظَةِ الأولى الَّتي رَأَتْهُ فيها ، وَكُلُّ هذا تَبَلْوَرَ في ابْنِهِما مَعًا ، في « عَنْتَرَةَ » ، سَواءٌ اعْتَرَفَ « شَدّادٌ » بِهَذا أَوْ لَمْ يَعْتَرِفْ . أَبَدًا لَمْ تَكُنْ سَبِيَّةً وَ لا أَسيرَةً ، وَ إِنَّما كانَتِ امْرَأَةً مُحِبَّةً ، تَرى في رَجُلِها الأَمَلَ وَ الغَدَ الواعِدَ .

وَ أيْقَظَها مِنْ أفْكارِها عِدَّةُ صَيْحاتٍ تَأتي مِنْ خَلْفِ الرّابِيَةِ مِنْ ناحِيَةِ الوادي ، وَ قامَتْ مِنْ مَكانِها تَنْظُرُ إلى مَصْدَرِ الصَّيْحاتِ ، فَإذا « جَريرٌ » يَجْري نَحْوَها وَ هُوَ يُلَوِّحُ بِيَدِهِ ، وَ يَصْرُخُ ، ثُمَّ « شَيْبوبٌ » يَحْمِلُ شَيْئًا ثَقيلاً فَوْقَ ظَهْرِهِ وَ يَجْري وَراءَهُ ، وَ مِنْ بَعْدِهِما « عَنْتَرَةُ » يَسيرُ مُتَرَنِّحًا وَ هُوَ يَسْتَنِدُ في مِشْيَتِهِ المُتَعَرِّجَةِ إلى غُصْنٍ ضَخْمٍ يَحْمِلُهُ في يَدِهِ .

وَبِقَلْبٍ خائِفٍ راقَبَتْ تَقَدُّمَهُمْ نَحْوَها وَ هِيَ تَعْجَبُ لِلْحِمْلِ الَّذي يُثْقِلُ ظَهْرَ « شَيْبوبٍ » ، وَ لِهَذِهِ العَصا الغَريبَةِ الَّتي يَتَوَكَّأُ عَلَيْها « عَنْتَرَةُ » . وَ حَدَّثَها قَلْبُها أنَّها أمامَ شَيْءٍ مُخيفٍ وَ غَريبٍ . وَ حاوَلَتْ قَدْرَ طاقَتِها أنْ تُهَدْهِدَ إحْساسًا بِالذُّعْرِ يَدْفَعُها إلى أنْ تَتْرُكَ الغُنَيْماتِ وَ تَجْرِيَ ، لا في الاتِّجاهِ الَّذي يَأتي مِنْهُ أوْلادُها ، وَ إنَّما في اتِّجاهٍ مُضادٍّ لا يَعْرِفُ حُدودًا وَلا هَدَفًا ، فَقَطْ تَجْري ، وَ تَجْري ، وَ تَجْري .

وَ قَبْلَ أنْ تَتَحَرَّكَ مِنْ مَكانِها وَصَلَ « شَيْبوبٌ » لِيَرْمِيَ حِمْلَهُ أمامَها . وَ تَرْتَجِفُ كُلُّ عَضَلَةٍ في جَسَدِها وَ هِيَ تَرى اللَّبُؤَةَ مُضَرَّجَةً بِدِمائِها . وَ كانَ « شَيْبوبٌ » يَلْهَثُ . ثُمَّ جاءَ « جَريرٌ » يَضْحَكُ كَالمَجْنونِ ، وَ جاءَ « عَنْتَرَةُ » ، وَ عَيْناهُ تَلْمَعانِ ، وَ يَرْمي غُصْنَهُ المُخَضَّبَ بِالدِّماءِ تَحْتَ أقْدامِها ،

وَ يَصْرُخُ في نَشْوَةٍ : « قَتَلْتُها ، يا أُمُّ . قَتَلْتُ اللَّبُؤَةَ المُخيفَةَ . قَتَلْتُ قاتِلَةَ الشُّجْعانِ في وادي السِّباعِ .»

ثُمَّ نَظَرَ إلَيْها ، وَ رَفَعَ رَأسَهُ إلى السَّماءِ وَ هُوَ يَصْرُخُ : « وَ أنا عَنْتَرَةُ بْنُ شَدّادٍ .»

مُفاجَأةٌ في أفراحِ الحِلَّةِ

غادَرَ المَلِكُ « زُهَيْرٌ » دِيارَ عَبْسٍ ، وَ مَعَهُ الفُرْسانُ المُحارِبونَ وَ أتْباعُهُمْ وَ عَبيدُهُمُ المُدَرَّبونَ على حَمْلِ السِّلاحِ واسْتِعْمالِهِ. وَ لَمْ يَبْقَ في الشَّرَبَّةِ وَ العَلَمِ السَّعْدِيِّ سِوى العَبيدِ وَ النِّساءِ العَجائِزِ وَ الصِّغارِ . وَ حينَ تَجمَّعَتِ النِّساءُ حَوْلَ الغَديرِ أصْرَرْنَ أنْ تَعرِضَ عَلَيْهِنَّ « زَبيبَةُ » رَأسَ اللَّبُؤَةِ الَّتي قَتَلَها « عَنْتَرَةُ » وَ مَخالِبَها ، وَ لَمْ تَجِدْ « زَبيبَةُ » بُدًّا مِنْ أنْ تَعودَ إلى دارِها لِتَجْلُبَ المِخْلاةَ الَّتي تَحْمِلُ هَذِهِ الآثارَ الدّامِيَةَ ثُمَّ تَفْرُدَها أمامَ المُتَحَلِّقينَ حَوْلَها .

وَ قالَتْ « سُمَيَّةُ » : « ما أبْشَعَ هذا ! لَقَدْ جَزَّ رَأسَها وَ مَخالِبَها بِكُلِّ قَسْوَةٍ . أ لَيْسَ في قَلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنْ رَحْمَةٍ ؟» وَ وَجَمَتْ « زَبيبَةُ » فَلَمْ تَجِدْ جَوابًا ، بَيْنَما انْدَفَعَتْ « عَبْلَةُ » قائِلَةً : « بَلْ ما أشْجَعَ قَلْبَهُ وَ هُوَ يُواجِهُها وَحْدَهُ ، وَ قَد أحْجَمَ أشْجَعُ الفُرْسانِ عَنْ مُواجَهَتِها وَ التَّصَدّي لَها ، بَلْ لَقَدْ قَتَلَتْ مِنَ الفُرْسانِ الكَثيرينَ !»

وَ تَهَلَّلَ وَجْهُ « زَبيبَةَ » ، بَيْنَما صَمَتَتْ « سُمَيَّةُ » وَ قَدْ

ظَهَرَ الضّيقُ عَلى وَجْهِها . وَ كَفّوا جَميعاً عَنِ الحَديثِ عِنْدَما ارْتَفَعَتْ أصْواتُ المَزاهِرِ وَ الدُّفوفِ وَ الصَّنْجِ تُعْلِنُ بَدْءَ يَوْمٍ مِنْ أيّامِ المُتْعَةِ البَريئَةِ لِلنِّساءِ المَحْروماتِ مِنْ كُلِّ مُتْعَةٍ أثْناءَ وُجودِ الرِّجالِ في الحِلَّةِ .

فَقَدْ كانَ مِنْ عادَةِ النِّساءِ في الشَّرَبَّةِ وَ العَلَمِ السَّعْدِيِّ ، وَ هِيَ دِيارُ « عَبْس » ، أنْ يَقْضينَ نَهارَهُنَّ على حافَةِ الغَديرِ بَيْنَ رَقْصٍ وَ غِناءٍ وَ أكْلٍ وَ شَرابٍ ، إذا ما غادَرَ الرِّجالُ وَ الشُّبّانُ الحِلَّةَ . وَ انْتَهَزَتْ « زَبيبَةُ » انْصِرافَ الجَمْعِ حَوْلَها إلى مَصْدَرِ أصْواتِ المَزاهِرِ وَ الدُّفوفِ ، لِتَجْمَعَ المِخْلاةَ بَيْنَ يَدَيْها وَ قَدْ أعادَتْ إلَيْها ما كانَ فيها ، ثُمَّ أسْرَعَتْ إلى الدّارِ تُخْفي المِخْلاةَ عَنِ الأنْظارِ ، ثُمَّ عادَتْ تَقِفُ إلى البابِ تَرْقُبُ الرّاقِصاتِ وَ العازِفاتِ وَ المُغَنِّياتِ في نَظْرَةٍ ساهِمَةٍ بَعيدَةٍ ، وَ قَدْ عَلَتْ شَفَتَيْها ابْتِسامَةٌ حالِمَةٌ . قَليلَةٌ هِيَ أيّامُ الرَّقْصِ هُنا ، أمّا هُناكَ في بِلادِها البَعيدَةِ وَسْطَ الغاباتِ وَ الأحْراشِ وَ النَّهْرِ الكَبيرِ المُتَدَفِّقِ ، كُلُّ أيّامِهِمْ كانَتْ رَقْصاً ، يَرْقُصونَ حينَ الخُروجِ إلى الصَّيْدِ ، وَ يَرْقُصونَ حينَ العَوْدَةِ مِنَ الصَّيْدِ ، وَ يَرْقُصونَ حينَ نُزولِ المَطَرِ ، وَ حينَ اكْتِمالِ القَمَرِ ، وَ حينَ حَفَلاتِ الزِّفافِ ، بَلْ وَ حينَ وَداعِ المَوْتى . كانَ الرَّقْصُ

وَسيلَةً لِشُكْرِ الآلِهَةِ عَلى نِعَمِها ، وَ اسْتِرْضائِها حَتّى لا تَغْضَبَ ، وَ اسْتِجْدائِها حَتّى تَرْضى وَلا تُفَرِّقَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ . وَها هِيَ وَحيدَةٌ بَعيدَةٌ وَ قَدْ غَضِبَتْ عَلَيْها الآلِهَةُ ؛ فَفَرَّقَتْ بَيْنَها وَ بَيْنَ أَهْلِها وَ عَشيرَتِها .

وَ وَجَدَتْ نَفْسَها فَجْأَةً تُفَكِّرُ في « عَنْتَرَةَ » ، وَ هُوَ يَلوحُ أَمامَها وَجْهُهُ النَّبيلُ الصَّغيرُ وَهُوَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلى السَّماءِ وَيَصْرُخُ في انْتِصارٍ وَ زَهْوٍ : « أَنا عَنْتَرَةُ بْنُ شَدّاد » ، وَكَأَنَّهُ يَصْرُخُ في وَجْهِ القَدَرِ ، وَ في وَجْهِ أَبيهِ ، وَ في وَجْهِ الفُرْسانِ الَّذينَ تَحَدَّوْهُ ، وَ العَبيدِ الَّذينَ أَرادوا إِذْلالَهُ وَ قَهْرَهُ .

وَ انْتَبَهَتْ « زَبيبَةُ » عَلى صَوْتِ صَيْحاتٍ عالِيَةٍ كَأَنَّما هِيَ أَصْداءٌ لِهَذِهِ الصَّيْحَةِ الَّتي تَخَيَّلَتْ أَنَّها تَسْمَعُها ، فَرَفَعَتْ رَأْسَها تَنْظُرُ حَوْلَها ، ثُمَّ تَسَمَّرَتْ مَكانَها ، وَ قَدْ فَتَحَتْ فَمَها في دَهْشَةٍ وَرُعْبٍ ، وَ امْتَدَّتْ يَدَيْها تَمْنَعُ الصَّرْخَةَ الَّتي كادَتْ تَنْطَلِقُ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْها ، فَمِنْ كُلِّ مَكانٍ حَوْلَ الغَديرِ كانَ فُرْسانٌ مَجْهولونَ يَدْفَعونَ خُيولَهُمُ المُسْرِعَةَ نَحْوَ النِّساءِ وَالفَتَياتِ وَ العَجائِزِ المُتَحَلِّقاتِ حَوْلَ الغَديرِ ، وَ قَدْ أَثارَتْ سَنابِكُ خُيولِهِمُ الغُبارَ ، وَ مَلأَتْ صَيْحاتُهُمُ الجَوَّ بِضَجيجٍ مُخيفٍ ، سَرْعانَ ما امْتَزَجَ بِصَيْحاتِ النِّساءِ المَذْعوراتِ ، اللاّتي

أَسْرَعْنَ يَجْرِينَ هُنا وَ هُناكَ ، وَ الفُرْسانُ يُحاصِرونَهُنَّ بِخُيولِهِمْ وَ قَدْ كَوَّنوا شِبْهَ دائِرَةٍ واسِعَةٍ أَخَذَتْ تَضيقُ حَوْلَ نِساءِ عَبْسٍ .

مُنْذُ لَحَظاتٍ كانَ وُقوعُ الدُّفوفِ وَ الصَّنْجِ وَ ضَحِكاتُ الفَتَياتِ وَ عَبَثُهُنَّ – يُشيعُ في المَكانِ البَهْجَةَ وَ الأَمانَ وَالحَياةَ ، ثُمَّ تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ فَجْأَةً ، وَ غَدَتْ صَيْحاتُ الرِّجالِ وَصَهيلُ الخَيْلِ وَ وَقْعُ سَنابِكِ الخَيْلِ فَوْقَ الصُّخورِ – لا تُشيعُ سِوى الذُّعْرِ وَ شَبَحِ المَوْتِ المُفاجِئِ وَ خَوْفِ الذِّلَّةِ في أَسْرِ الغُزاةِ . وَ وَجَدَتْ نَفْسَها تَتَذَكَّرُ في مَرارَةٍ يَوْمَ حاصَرَتْها خُيولُ فُرْسانِ عَبْسٍ تَمْنَعُها مِنَ الهَرَبِ ، تَماماً كَما يَحْدُثُ لِنِساءِ عَبْسٍ اليَوْمَ . وَ جَعَلَتْ تُجيلُ نَظَرَها في وُجوهِ النِّساءِ المَذْعورَةِ

الخائِفَةِ : الشُّعورُ قَدِ انْفَرطَتْ وَغَطَّتِ العُيونَ المَذْعورَةَ ، وَالهَواءُ يَعْبَثُ بِها في قَسْوَةٍ ، وَ هِيَ تَزْدادُ فَوْضى مَعَ حَرَكَةِ الأَجْسادِ المُتَقَلِّصَةِ الخائِفَةِ ، وَصَرَخاتٌ تَخْرِقُ الهَواءَ وَ تُحيلُ الوُجوهَ الآمِنَةَ إلى وُجوهٍ تَعِسَةٍ مَرْعوبَةٍ ، وَ العُيونُ الجاحِظَةُ الباكِيَةُ الَّتي حَجَبَتْ عَنْها دُموعُ الخَوْفِ وَ القَهْرِ الرُّؤْيَةَ ، فَمَضَتْ صاحِباتُها تَتَخَبَّطْنَ وَسَطَ الحَلْقَةِ الَّتي تَضيقُ وَ تَضيقُ.

وَ فَجْأَةً لَمَحَتْ « زَبيبَةُ » وَجْهًا حَبيبًا إِلَيْها ، وَ قَدْ شَحَبَ وَ تَقَلَّصَ وَ ماتَتِ الصَّرَخاتُ عَلى الفَمِ ، وَجْهَ « عَبْلَةَ » ، وَ هِيَ تَجْري هارِبَةً مَذْعورَةً مِنْ فارِسٍ يَجْري وَراءَها بِفَرَسِهِ ، وَ هُوَ يُحاوِلُ القَبْضَ عَلَيْها ، وَ هِيَ تَجْري كَالغَزالِ الشّارِدِ المَذْعورِ ، وَ تُفْلِتُ مِنْ قَبْضَتِهِ مَرَّةً ، لِتَرْتَمِيَ تَحْتَ سَنابِكِ جَوادِهِ هَرَبًا مِنْ يَدِهِ المَمْدودَةِ ، ثُمَّ تَجْري مِنْ جَديدٍ تُحاوِلُ أَنْ تُخْفِيَ نَفْسَها وَسْطَ جَمْعِ النِّساءِ المُحْتَشِدِ المُوَلْوِلِ الصّارِخِ المَذْعورِ . وَ صَرَخَتْ زَبيبَةُ مُوَلْوِلَةً : « لا .. عَبْلَةُ لا .. لا يَجِبُ أَنْ يَحْدُثَ هَذا لِـ « عَبْلَةَ » .»

وَ فَجْأَةً اسْتَدارَتْ وَ أَسْرَعَتْ تَجْري نَحْوَ المَضارِبِ وَ قَلْبُها يَدُقُّ في عُنْفٍ ، وَ لَيْسَ عَلى شَفَتَيْها سِوى نِداءٍ صارِخٍ بِالأَمَلِ وَ الخَوْفِ وَ اليَأْسِ : « وَيْكَ عَنْتَرَةُ .. وَيْكَ عَنْتَرَةُ !»

فارِسٌ يَخْطَفُ « عَبْلة » وَ يَأسِرُها

كانَ الفُرْسانُ الّذينَ هاجَموا دِيارَ عَبْسٍ جُزْءاً مِنْ حَمْلَةٍ مِنْ فُرْسانِ بَني قَحْطانَ عَرَفوا بِأمْرِ خُروجِ فُرْسانِ عَبْسٍ فَأغاروا عَلى الحِلَّةِ وَ المَضارِبِ . أمّا باقي الفُرْسانِ فَقَدْ هاجَموا المَراعِيَ وَ قَدْ أطْمَعَهُمُ المالُ الوَفيرُ الّذي لا يَحْرُسُهُ سِوى العَبيدِ مِنَ الرُّعْيانِ . وَ كانَ « جَريرٌ » قَدْ لَمَحَهُمْ يُقْبِلونَ عَلى المَراعي وَ قَدْ أثارَتْ خُيولُهُمْ غَبْرَةً عَظيمَةً – فَأسْرَعَ يُخْبِرُ أخاهُ « شَيْبوباً » ، وَ قالَ لَهُ شَيْبوب :

« ما أظُنُّ إلّا أنَّها حَمْلَةٌ لأعْداءِ عَبْسٍ عَرَفوا بِخُلُوِّ الدِّيارِ مِنَ الفُرْسانِ فَانْتَهَزوا الفُرْصَةَ لِلاسْتيلاءِ عَلى المالِ . أسْرِعْ فَأخْبِرْ «« عَنْتَرَةَ »» ، حَتّى أذْهَبَ أنا وَ أسْتَطْلِعَ الأمْرَ .»

وَ قَبْلَ أنْ يَصِلَ « جَريرٌ » بِالتَّحْذيرِ إلى « عَنْتَرَةَ » ، كانَ هَذا قَدْ رَأى الغَبْرَةَ المُثارَةَ وَرابَهُ أمْرُها ، فَلَمّا رَأى « جَريراً » يَجْري نَحْوَهُ أيْقَنَ أنَّ ظُنونَهُ في مَحَلِّها ، وَ قالَ لـ« جَرير » الّذي وَقَفَ يَلْهَثُ وَ يُحاوِلُ الْتِقاطَ أنْفاسِهِ المُتَلاحِقَةِ :

« إمّا أنَّهُمْ مِنْ فُرْسانِ عَبْسٍ يَعودونَ إلى الدِّيارِ لأمْرٍ أوْ لآخَرَ ، وَ إمّا أنَّهُمْ فُرْسانٌ مُغيرونَ يَعْرِفونَ بِأمْرِ غِيابِ فُرْسانِ عَبْسٍ ، فَلا يُقْدِمُ أحَدٌ على غارَةٍ وَ هُوَ يُعْلِنُ عَنْ قُدومِهِ بِكُلِّ هَذِهِ الغَبْرَةِ ، إلّا إذا كانَ شَديدَ الثِّقَةِ مِنْ خُلُوِّ المَراعي مِنَ الحُماةِ .»

قالَ « جَريرٌ » : « سَيُخْبِرُنا «« شَيْبوبٌ »» بِأمْرِهِمْ .»

قالَ « عَنْتَرَةُ » : « لَوِ انْتَظَرْنا «« شَيْبوباً »» سَيَكونُ الوَقْتُ قَدْ فاتَ ، وَ لَنْ تَكونَ لَدَيْنا أيُّ فُرْصَةٍ لِلْمُقاوَمَةِ .»

ضَحِكَ « جَريرٌ » في مَرارَةٍ وَ هُوَ يَقولُ : « المُقاوَمَةُ ! وَ مَنِ الَّذي سَيُقاوِمُ فُرْساناً مُسَلَّحينَ يَهْجُمونَ وَهُمْ عَلى صَهَواتِ جِيادِهِمْ . الأجْدى أنْ تُسْرِعَ بِإخْبارِ باقي العَبيدِ لِنَهْرُبَ ، وَ نَتْرُكَهُمْ يَنْشَغِلونَ بِأمْرِ المالِ ؛ لِنُؤَمِّنَ هَرَبَنا مِنْ سُيوفِهِمْ أوْ أسْرِهِمْ عَلى أحْسَنِ حالٍ .»

قالَ « عَنْتَرَةُ » وَ قَدْ لَمَعَتْ عَيْناهُ ، وَ ظَهَرَ الغَضَبُ عَلى مَلامِحِهِ : « تُريدُني أنْ أهْرُبَ ، وَ أتْرُكَ هَذا المالَ الَّذي كَلَّفَني أبي «« شَدّادٌ »» بِحِراسَتِهِ ، حَتّى يَعودَ ؟ هَلْ جُنِنْتَ؟ هَذا لَنْ يَكونَ أبَداً .»

قالَ « جَريرٌ » وَ هُوَ يَتَنَهَّدُ في اسْتِسْلامٍ أمامَ عِنادِ

« عَنْتَرَةَ » : « وَ كَيْفَ سَتُقاوِمُهُمْ إذَنْ ؟»

أجالَ « عَنْتَرَةُ » بَصرَهُ في الإبِلِ وَ الخَيْلِ الَّتي تَرْعى في سَلامٍ حَوْلَهُ ، ثُمَّ في العَبيدِ الَّذينَ جَلَسوا حَوْلَ المالِ في تَراخٍ وَ كَسَلٍ ، وَ قالَ : « لَدَيَّ خُطَّةٌ لَوْ نَجَحَتْ لَقَضَيْنا عَلَيْهِمْ.»

وَ قَبْلَ أنْ يَرُدَّ « جَريرٌ » عَلى كَلِماتِ « عَنْتَرَةَ » جاءَ «شَيْبوبٌ » مُهَرْوِلاً وَهُوَ يُسابِقُ الرِّيحَ في عَدْوِهِ ، وَ عِنْدَما وَصَلَ إلَيْهِما قالَ دونَ أنْ تَفْقِدَ أنْفاسُهُ انْتِظامَها : « إنَّهُمْ فُرْسانُ قَحْطانَ ، وَ هُمْ فَوْقَ الخَمْسينَ فارِساً ، وَ قَدِ انْصَرَفَ بَعْضُهُمْ إلى الحِلَّةِ يُغيرونَ عَلَيْها وَهِيَ خالِيَةٌ مِنَ الرِّجالِ .»

وَ صاحَ « عَنْتَرَةُ » في غَضَبٍ : « سَيَقْتُلونَ مَنْ يَقِفُ في طَريقِهِمْ ، وَ سَيَأْسِرونَ النِّساءَ .»

وَ فَجْأةً صَمَتَ ، وَ صاحَ : « ‹‹ عَبْلَةُ ›› ! إنَّها هُناكَ وَحيدَةٌ ، وَ لَيْسَ في الحِلَّةِ مَنْ يَحْميها !»

ضَحِكَ « شَيْبوبٌ » في مَرارَةٍ وَ قالَ : « ‹‹ عَبْلَةُ ›› وَحْدَها، يا ‹‹ عَنْتَرَةُ ›› ؟ وَ أُمُّكَ ‹‹ زَبيبَةُ ›› وَ ‹‹ سُمَيَّةُ ›› وَ باقي نِساءِ عَبْسٍ ، كُلُّهُنَّ هُناكَ بِلا حامٍ وَلا مُدافِعٍ .»

وَ تَحَوَّلَ « عَنْتَرَةُ » يُريدُ أنْ يُسْرِعَ إلى فَرَسٍ قَريبٍ ،

فَأمسَكَ بِهِ « شَيْبوبٌ » قائِلاً : « قَبْلَ أنْ تَنْدَفِعَ إلى أيِّ حَرَكَةٍ اسْمَعْ مِنِّي جَيِّداً . لَوْ ذَهَبْنا إلى الحِلَّةِ وَدافَعْنا عَنِ النِّساءِ سَيُنْهي هَؤُلاءِ الفُرْسانُ أمْرَ العَبيدِ وَ المالِ هُنا وَ يَلْحَقونَ بِنا ، وَ لَنْ يَتْرُكوا أحَداً مِنّا ، سَواءٌ نَجَحْتَ في تَخْليصِ « عَبْلَةَ » أو لَمْ تَنْجَحْ . فَكِّرْ في هَذا وَ عُدْ إلى عَقْلِكَ .»

وَ تَوَقَّفَ « عَنْتَرَةُ » يُجيلُ النَّظَرَ في أخَوَيْهِ ، وَ مَدَّ بَصَرَهُ إلى الغَبْرَةِ البَعيدَةِ الَّتي تَتَقَدَّمُ نَحْوَهُمْ في انْتِظامٍ ، ثُمَّ صاحَ في « جَرير » : « اِجْمَعِ العَبيدَ كُلَّهُمْ هُنا ، يا « جَريرُ » .»

وَ قالَ لِـ « شَيْبوب »: « أسْرِعْ مَعي ، يا « شَيْبوبُ » ، نُسْرِجْ مِنَ الخُيولِ ما نَسْتَطيعُ ، وَ نُحْضِرْ ما خَبَّأناهُ مِنْ أسْلِحَةٍ وَ رِماحٍ وَ سُيوفٍ وَ أقْواسٍ وَ سِهامٍ .»

***

كانَتْ « زَبيبَةُ » تَجْري وَ وَجْهُها في ظَهْرِها ، وَ هِيَ لا تُصَدِّقُ أنَّها تَسَلَّلَتْ مِنَ الحِلَّةِ دونَ أنْ يَراها أحَدٌ مِنَ الغُزاةِ، وَ كانَتِ الحِلَّةُ قَدْ بَدَأتْ تُقاوِمُهُمْ مُقاوَمَةً يائِسَةً ضَعيفَةً وَ غَيْرَ مُجْدِيَةٍ . شُيوخٌ أخْرَجوا سُيوفًا طالَ مُكْثُها في أغْمادِها، وَ حَمَلوا رِماحاً بِأيْدٍ واهِنَةٍ عَرَفَتْ في عُنْفُوانِ قُوَّتِها هَزَّ الرِّماحِ وَ قَذْفَها ، وَ نِساءٌ حَمَلْنَ الصُّخورَ يَرْمينَ بِها الفُرْسانَ وَ وُجوهَ

الخَيْلِ ، وَ صِبْيَةٌ صِغارٌ حَمَلوا العِصِيَّ وَ المُلاءاتِ يَرْمونَ بِها وُجوه الخَيْلِ . وَ لكِنَّ ضَرَباتِ الفُرْسانِ كانَتِ الأقْوى ، وَ رِماحَهُمْ كانَتِ الأشَدَّ ، وَسِهامَهُمْ كانَتِ الأنْفَذَ .

وَجَرَتْ « زَبيبَةُ » وَ جَرَتْ ، تَنْظُرُ وَراءَها كُلَّ حينٍ ، وَ لا تَكادُ تَنْظُرُ أمامَها إلّا لِكَيْ تَتَبَيَّنَ وَقْعَ أقْدامِها فَوْقَ الرِّمالِ وَ الصُّخورِ . اليَوْمَ تَعْرِفُ نِساءُ عَبْسٍ مَعْنى الخَوْفِ ، الخَوْفِ عَلى الحَياةِ وَ العِرْضِ ، وَ الخَوْفِ مِنَ الذُّلِّ وَ العُبودِيَّةِ وَ القَهْرِ . في هَذِهِ الأرْضِ لا مَعْنى لِلأمانِ ، أنْتِ يَوْماً سَيِّدَةٌ مَصونَةٌ يَتَنافَسُ الرِّجالُ عَلى رِعايَتِكِ وَ حِمايَتِكِ ، وَ أنْتِ في يَوْمٍ آخَرَ عَبْدَةٌ ذَليلَةٌ يَتَنافَسُ النِّساءُ في قَهْرِكِ وَ إذْلالِكِ ، وَ يُصْبِحُ أوْلادُكِ أذِلّاءَ وَ عَبيداً وَ رُعاةً لِلْغَنَمِ . « عَنْتَرَةُ » ، حَقًّا « عَنْتَرَةُ » هُوَ الأمَلُ . اِجْري ، يا « زَبيبَةُ » اجْري .. هَذا الغُبارُ مِنْ بَعيدٍ، لَعَلَّهُ لِعَبيدِ عَبْسٍ يَأتونَ لِنُصْرَةِ الحِلَّةِ . لا .. وَمَنْ أدْراهُمْ ؟ مَنْ أدْراهُمْ أنَّ الحِلَّةَ في خَطَرٍ ! وَ مَنْ يُخْبِرُ « عَنْتَرَةَ » أنَّ « عَبْلَةَ » في خَطَرٍ !

وَ فَجْأةً تَوَقَّفَتْ « زَبيبَةُ » عَنِ الجَرْيِ ، وَ أسْرَعَتْ تَتَسَلَّقُ مُرْتَفَعاً وَ هِيَ تَنْظُرُ بِقَلْبٍ واجِفٍ إلى ما تَحْتَ الغُبارِ المُثارِ . وَ أحَسَّتْ بِيَدٍ مِنْ حَديدٍ تَقْبِضُ عَلى قَلْبِها بِعُنْفٍ وَ هِيَ تَتَبَيَّنُ

الفُرْسانَ الّذينَ يُسرِعونَ بِخُيولِهِمْ نَحْوَ المَرْعى . إنَّهُمْ فُرْسانُ قَحْطانَ لا شَكَّ ، باقي أفْرادِ الغَزْوَةِ الّتي دَهَمَتِ الحِلَّةَ يَدْهَمونَ الآنَ المَراعِيَ ، وَ قَدْ تأكَّدوا أنَّ فُرْسانَ عَبْسٍ في غَيْبَةٍ عَنِ الدِّيارِ وَ المَراعي مَعًا . وَ نَزَلَتْ مِنْ فَوْقِ الرّابِيَةِ وَ كُلُّ جَسَدِها يَرْتَجِفُ ، وَ قَلْبُها يَدُقُّ في عُنْفٍ حَتّى لَتَهُزُّ دَقّاتُه صَدْرَها هَزّاتٍ . وَ أخَذَتْ تَجْري ناحِيَةَ المَراعي مِنْ جَديدٍ ، وَ قَدْ أحَسَّتْ أنَّها في سِباقٍ مَعَ هَذِهِ الغَبْرَةِ . لا بُدَّ مِنْ تَحْذيرِ « عَنْتَرَةَ » . كُلُّ أوْلادِها هُناكَ ، كُلُّ ما لَها في الحَياةِ : « عَنْتَرَةُ » وَ « شَيْبوبُ » وَ « جَريرٌ » . وَأخَذَتْ « زَبيبَةُ » تَجْري وَ هِيَ تَهْمِسُ وَسْطَ دُموعِها وَشَهَقاتِها وَ أنْفاسِها اللاّهِثَةِ : « وَيْكَ « عَنْتَرَةُ » ! وَيْكَ « عَنْتَرَةُ » !»

***

حينَ عادَ « عَنْتَرَةُ » وَ « شَيْبوبُ » مُحَمَّلَيْنِ بِالأسْلِحَةِ الّتي كانَتْ مَخْبوءَةً في حَنِيّاتِ الجَبَلِ ، بَعيدًا عَنْ أعْيُنِ « شَدّاد » وَ باقي العَبيدِ ، كانَ « جَريرٌ » قَدْ جَمَعَ كُلَّ مَنْ في المَرْعى مِنْ رُعاةٍ وَ عَبيدٍ . وَ أجالَ « عَنْتَرَةُ » بَصَرَهُ فيهِمْ ، كانوا يَنْتَسِبونَ إلى كُلِّ بُطونِ عَبْسٍ ، وَ كانَ مِنْهُمُ العَجائِزُ وَ الصِّبْيَةُ وَ الكُهولُ ، أمّا الشَّبابُ المُقاتِلُ مِنْهُمْ فَقَدْ صَحِبَهُمْ

فُرْسانُ عَبْسٍ مَعَهُمْ في غَزْوَتِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَدَعْ لِلْيَأسِ مَسْرَبًا يَتَسَلَّلُ مِنْهُ إلى قَلْبِهِ ، فَها هُمْ بِضْعُ عَشَراتٍ مِنَ الشُّيوخِ وَ الكُهولِ وَ الصِّبْيانِ ، وَ لَكِنَّهُمْ كُلُّ مَنْ سَيَحْمي المالَ ، وَ كُلُّ مَنْ سَيُواجِهُ بِهِ فُرْسانَ قَحْطانَ . وَ وَقَفَ بَيْنَهُمْ قائِلاً وَهُوَ يُشيرُ بِيَدِهِ : « هَذِهِ الغَبْرَةُ تَحْتَها فُرْسانُ بَني قَحْطانَ، وَ قَدْ جاءوا في ثَأرِهِمْ مِنْ عَبْسٍ ، يُريدونَ الأمْوالَ وَ النِّساءَ ، وَ نَحْنُ هُنا وَحْدَنا وَلا فُرْسانَ مِنْ عَبْسٍ مَعَنا ، فَالأمْرُ لَنا ؛ إمّا نَهْرُبُ وَ نَتْرُكُ لَهُمُ الأمْوالَ وَ النِّساءَ ، وَ إمّا أنْ نَقِفَ وَ نُقاتِلَ وَ نُنْقِذَ المالَ وَ النِّساءَ .»

وَ سادَ وُجومٌ الجَمْعَ المُحْتَشِدَ حَوْلَهُ ، وَ تَحَوَّلَتْ عُيونٌ قَلِقَةٌ خائِفَةٌ إلى الغُبارِ المُقْتَرِبِ في إصْرارٍ وَ سُرْعَةٍ ، وَ تَحَرَّكَتْ بَعْضُ الأجْسادِ تُخْفي نَفْسَها خَلْفَ أجْسادٍ أخْرى . وَ قالَ عَجوزٌ مِنَ العَبيدِ يَتَوَكَّأ على عَصاهُ ، وَ يَعْبَثُ في لِحْيَتِهِ في عَصَبِيَّةٍ : « ما هَذا الحَديثُ عَنِ الوُقوفِ وَ القِتالِ ؟ لَوْ أرادَتْ عَبْسٌ حِمايَةَ مالِها وَ نِسائِها ؛ لِماذا لَمْ تَتْرُكْ مِنْ فُرْسانِها مَنْ يَحْمونَ المالَ وَ النِّساءَ ؟ لا ، يا بُنَيَّ ، نَحْنُ نَتْرُكُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَ نَذْهَبُ إلى شِعابِ الجَبَلِ نَخْتَبِئُ هُناكَ ، حَتّى يَنْتَهِيَ كُلُّ شَيْءٍ .»

وَ انْدَفَعَ صَبِيٌّ مُغْبَرُّ الوَجْهِ مُشْعَثُ الشَّعْرِ يَصيحُ في « عَنْتَرَةَ » : « ماذا لَنا في مالِ عَبْسٍ ؟ لَمْ نَأْخُذْ مِنْهُمْ سِوى الضَّرْبِ بِالعَصا ، وَ السِّبابِ القَبيحِ ، وَ التَّعْريضِ بِأُمَّهاتِنا وَ أَنْسابِنا . لِنَتْرُكْ كُلَّ شَيْءٍ وَ نَهْرُبْ ، فَهَذا يَوْمُ التَّشَفّي في عَبْسٍ ، وَرِجالِ عَبْسٍ .»

قالَ « عَنْتَرَةُ » مُسْكِتًا هَمْهَمَةَ المُوافَقَةِ وَ التَّأْييدِ الَّتي صَدَرَتْ مِنَ الجَمْعِ حَوْلَهُ : « لَوْ عادَ فُرْسانُ عَبْسٍ وَ وَجَدوا أَمْوالَهُمْ قَدْ ضاعَتْ وَ الحِلَّةَ قَدْ نُهِبَتْ ، وَ نِساءَهُمْ قَدْ أُسِرْنَ – فَلَنْ يُبْقوا عَلى أَحَدٍ مِنْكُم حَيًّا .»

وَ سَكَتَتِ الهَمْهَمَةُ تَمامًا ، وَ سَرَتْ في الجَمْعِ حَرَكَةٌ قَلِقَةٌ في حينَ عادَ « عَنْتَرَةُ » يَقولُ : « نَحْنُ نَنْتَمي لِعَبْسٍ ، وَ إِنْ كانَ بَعْضُ مَنْ في عَبْسٍ لا يُعْطونَنا حُقوقَنا ، فَإِنَّ هَذا لا يَعْني أَنْ نَتَخَلّى عَنْ عَبْسٍ في مِحْنَتِها ، وَ لَنْ يَعيشَ أَحَدُنا عارَ المَذَلَّةِ إِنْ عَبْسٌ انْتُهِكَتْ ، وَ أَنَّهُ وَقْتَ الخَطَرِ آثَرَ السَّلامَةَ وَ الفِرارَ بِدَعْوى أَنَّ ساداتِ عَبْسٍ يُسيئونَ إِلَيْهِ . إِنَّ ساداتِ عَبْسٍ لَيْسوا هُمْ كُلَّ عَبْسٍ ، نَحْنُ أَيْضًا عَبْسٌ ، نَحْنُ وَ أُمَّهاتُنا وَ أَخَواتُنا ، وَ لَنْ تَنْجُوَ واحِدَةٌ مِنْهُنَّ مِنْ سَيْفٍ غادِرٍ، أَوْ أَسْرٍ أَكْثَرَ ذِلَّةً . ماذا قُلْتُمْ ؟»

وَ هَمْهَمَ الرَّجُلُ العَجوزُ ، وَ هُوَ يَعْبَثُ في لِحْيَتِهِ ، ثُمَّ قالَ : « صَدَقْتَ ، يا عَنْتَرَةُ ، وَ لَكِنْ ...»

قالَ « عَنْتَرَةُ » : « لا وَقْتَ لِلْمُناقَشَةِ ، إمّا أنْ تَكونوا مَعي أوْ لِيَهْرُبْ مَنْ يَشاءُ مِنْكُمْ إلى جَنَباتِ الجَبَلِ .»

ثُمَّ الْتَفَتَ إلى جَريرٍ قائِلاً : « اِجْمَعِ الصِّبْيَةَ الصِّغارَ وَاجْعَلْهُمْ يُحْضِرونَ كُلَّ الصُّخورِ وَ الأحْجارِ الَّتي يَسْتَطيعونَ جَمْعَها ، وَ لْيُكَوِّموها هُناكَ فَوْقَ هَذِهِ الرّابِيَةِ إلى اليَسارِ . وَ لْيُسْرِعوا فَلَيْسَ لَدَيْنا وَقْتٌ نُضَيِّعُهُ .»

وَ أخَذَ « جَريرٌ » يُنادي الأسْماءَ واحِداً إثْرَ الآخَرِ ، وَ الصِّبْيَةُ يُسْرِعونَ نَحْوَهُ ، وَ انْدَفَعَ بِهِمْ إلى بَطْنِ الوادي يَرْفَعونَ الصُّخورَ وَ الأحْجارَ وَ يُهْرَعونَ بِها إلى أعْلى الرّابِيَةِ ، في حينَ قالَ « عَنْتَرَةُ » لِلْعَبيدِ الباقينَ : « أ فيكُمْ مَنْ يُحْسِنُ رَمْيَ السِّهامِ ؟»

وَ تَقَدَّمَ نَحْوَهُ مَجْموعَةٌ مِنَ الشُّيوخِ مِنَ العَبيدِ ، فَصاحَ في « شَيْبوب » : « وَزِّعْ عَلَيْهِمُ الأقْواسَ وَ السِّهامَ الَّتي مَعَنا ، وَ لْيَذْهَبوا إلى هَذِهِ النّاحِيَةِ مِنَ الوادي وَ يَكْمُنوا هُناكَ ، وَ لْتُؤَمِّرْ عَلَيْهِمْ هَذا الشَّيْخَ ذا اللِّحْيَةِ ، وَ لْيَضْرِبوا الفُرْسانَ بِسِهامِهِمْ ، وَ يَأخُذوا وَقْتَهُمْ في التَّصْويبِ .»

وَ صاحَ « شَيْبوبٌ » فيهِمْ : « هَيّا مَعي إلى هُناكَ .»

وَ أخَذَ يُوَزِّعُ عَلَيْهِمُ الأقْواسَ وَ السِّهامَ في حينَ الْتَفتَ « عَنْتَرَةُ » لِمَنْ بَقِيَ قائِلاً : « أمّا نَحْنُ فَلْنُسْرِعْ خَلْفَ القَطيعِ كُلِّهِ ، نَصْرُخْ وَ نُلَوِّحْ بِالْمُلاءاتِ وَ نَضْرِبْ بِالطّوبِ حَتّى يَنْفِرَ القَطيعُ وَ يَجْرِيَ عَكْسَ النّاحِيَةِ الّتي يَأتي مِنْها الغُزاةُ ، ثُمَّ نَجْمَعْها خارِجَ هَذا الوادي وَ نَنْتَظِرْ ، فَإذا ما أقْبَلَ الفُرْسانُ وَحاصَرَهُمْ رُماةُ الصُّخورِ وَرُماةُ السِّهامِ بَيْنَهُمْ ، عُدْنا نَدْفَعُ القَطيعَ النّافِرَ نَحْوَهُمْ بِكُلِّ سُرْعَةٍ . وَ سَأكونُ في الْمُقَدِّمَةِ عَلى فَرَسي حامِلاً سَيْفي ، وَ لْيَحْمِلْ مِنْكُمْ مَنْ يُريدُ النِّبالَ أوِ العِصِيَّ ...»

وَ قَبْلَ أنْ يُكْمِلَ كَلامَهُ صاحَ « جَريرٌ » : « هَذِهِ « زَبيبَةُ » ... ماذا جاءَ بِكِ ، يا أُمُّ ؟»

وَ أسْرَعَ « عَنْتَرَةُ » نَحْوَها وَ قَلْبُهُ لا يُحَدِّثُهُ بِخَيْرٍ . وَكانَتْ زَبيبَةُ مُغْبَرَّةَ الوَجْهِ ، رَسَمَتْ دُموعُها خُطوطاً وَسَطَ التُّرابِ الّذي مَلأَ وَجْهَها ، مُشْعَثَةَ الشَّعْرِ ، مُهَدَّلَةَ الثِّيابِ ، وَكانَتْ تَلْتَقِطُ أنْفاسَها بِصُعوبَةٍ وَهِيَ تَقولُ : « « عَبْلَةُ » ، النِّساءُ ، الحِلَّةُ ، لَقَدْ هَجَمَ الفُرْسانُ هُناكَ ، وَهُمْ يَهْجُمونَ عَلَيْكُمْ هُنا .»

قالَ « عَنْتَرَةُ » وَ هُوَ يُرَبِّتُ عَلى كَتِفِها : « اِهْدَئي ، يا أُمُّ ، لا داعِيَ لِلْبُكاءِ ، نَحْنُ نَسْتَعِدُّ لِلِقاءِ المُهاجِمينَ هُنا ، وَ بَعْدَ هَذا سَنَنْظُرُ في أَمْرِ مَنْ هاجَموا الحِلَّةَ ، فَبَعْدَ أَنْ يَقْضُوا عَلى كُلِّ مُقاوَمَةٍ هُناكَ ، سَيُحاوِلونَ حَمْلَ كُلِّ ما في البُيوتِ مِنْ أَشْياءَ ثَمينَةٍ ، وَ سَيَشْغَلُهُمْ هَذا وَقْتاً يُتيحُ لَنا أَنْ نَتَدَبَّرَ أَمْرَنا مَعَهُمْ . اِبْحَثي لَكِ عَنْ مَكانٍ تَخْتَفينَ فيهِ ، فَهَذا الوادي لَنْ يُصْبِحَ آمِناً بَعْدَ حينٍ . »

وَ سَمِعَ صَيْحَةَ « شَيْبوب » فَالْتَفَتَ لِيَجِدَ القَطيعَ يَتَحَرَّكُ في بُطْءٍ أَوَّلَ الأَمْرِ ، ثُمَّ في سُرْعَةٍ ، ثُمَّ أَجْفَلَ القَطيعُ وَ مَضى يَجْري مُغادِراً الوادِيَ ، وَ الجِمالُ تُسابِقُ الخُيولَ وَالأَبقارَ في جَرْيِها ، وَ وَراءَ القَطيعِ « شَيْبوبٌ » وَ مَعَه العَبيدُ ، وَصاحَ « شَيْبوبٌ » : « أَسْرِعْ ، يا « عَنْتَرَةُ » .. أَسْرِعْ ! »

وَقَفَزَ عَنْتَرَةُ فَوْقَ ظَهْرِ جَوادٍ كانَ يَمُرُّ إِلى جانِبِهِ ، وَصاحَ بِأَعْلى صَوْتِهِ ، وَهُوَ يُلَوِّحُ بِمُلاءَةٍ في يَدِهِ يَزيدُ مِنْ سُرْعَةِ القَطيعِ .

***

صاحَ « عامِرُ بْنُ زَيْد » قائِدُ فُرْسانِ بَني قَحْطانَ في هَذِهِ الحَمْلَةِ مُلَوِّحاً بِيَدِهِ : « المالَ . إِنَّهُمْ يَهْرُبونَ بِالإِبِلِ وَ الخُيولِ

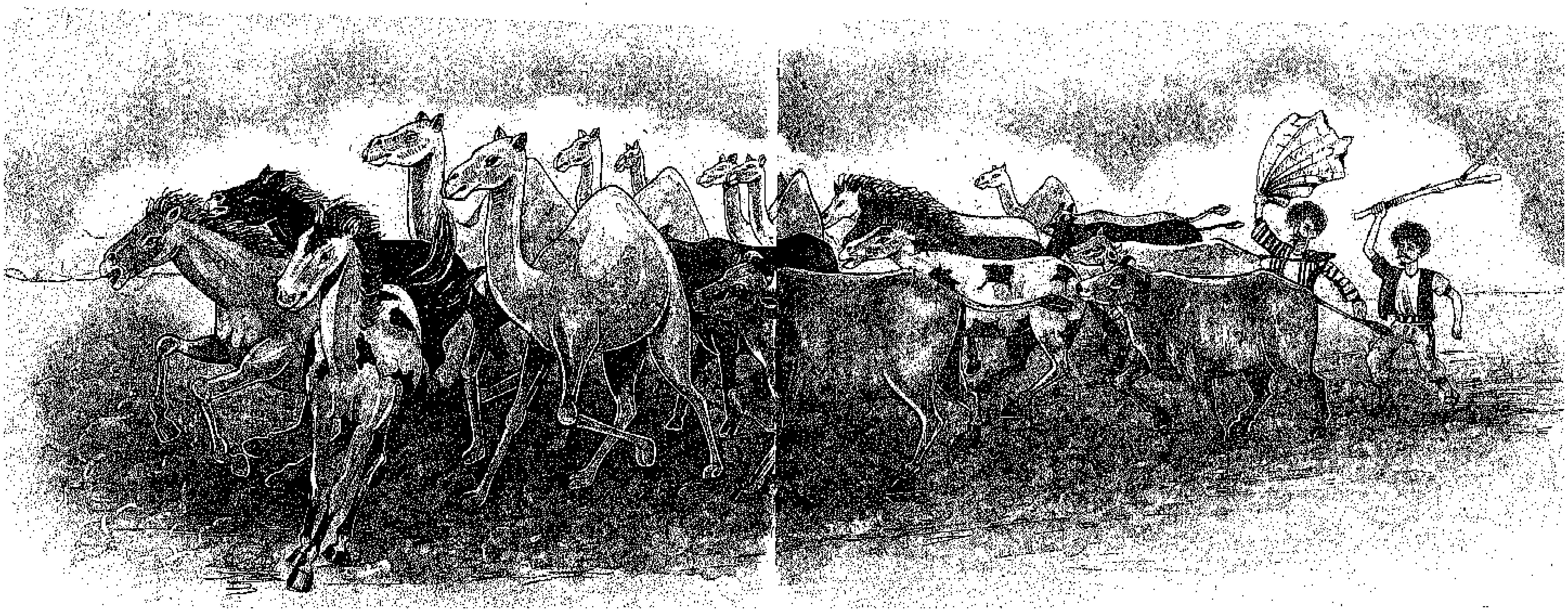

وَ الأبْقارِ . أسْرِعوا حَتّى لا يُفْلِتَ مِنّا المالُ .»

وَ انْدَفَعَ الرِّجالُ صارِخينَ خَلْفَ القَطيعِ الهارِبِ ، وَ ما إنْ تَوَسَّطوا الوادِيَ حَتّى انْهالَتْ عَلَيْهِمْ أكْوامٌ مِنَ الحِجارَةِ ، وَ صَرَخَتِ الخَيْلُ ، وَ نَفَرَتْ ، وَ كادَتْ تَقَعُ بِراكِبيها ، ثُمَّ انْهالَتِ السِّهامُ ، وَ انْثَنى فارِسٌ فَوْقَ جَوادِهِ وَ سَقَطَ عَلى الأرْضِ ، في حينَ صَرَخَ الفَرَسُ في صَهيلٍ أليمٍ وَ قَدْ أصابَهُ حَجَرٌ في وَجْهِهِ ، وَ سَقَطَ فارِسٌ آخَرُ اصْطَدَمَتْ صَخْرَةٌ ثَقيلَةٌ بِصَدْرِهِ ، وَ أخَذَ « عامِرُ بْنُ زَيْد » يَجولُ بِفَرَسِهِ بَيْنَ الرِّجالِ المُضْطَرِبينَ ، يُحاوِلُ أنْ يُعيدَ شَيْئًا مِنَ النِّظامِ إلى صُفوفِهِمْ ، وَ لَكِنَّ وابِلَ الحِجارَةِ لَمْ يَتَوَقَّفْ ، وَ وابِلَ السِّهامَ كانَ يُصيبُ مَقْتَلاً بَيْنَ حينٍ وَ آخَرَ ، فَصاحَ بِرِجالِهِ : « تَرَجَّلوا وَ احْتَموا بِالخَيْلِ ، وَ لْنَصْعَدْ إلى هَذِهِ الرّابِيَةِ ؛ فَمِنْ فَوْقِها تَأْتي هَذِهِ الحِجارَةُ .»

وَ ما كادَ الرِّجالُ يَتَرَجَّلونَ عَنْ خُيولِهِمْ وَهُمْ يُمْسِكونَ بِألْجِمَتِها كَيْ لا تَهْرُبَ ، حَتّى ارْتَجَّتْ أرْضُ الوادي مِنْ وَقْعِ حَوافِرِ الخُيولِ النّافِرَةِ ، وَ الأبْقارِ المَذْعورَةِ ، وَ خِفافِ الجِمالِ المُنْدَفِعَةِ في خَوْفٍ وَ ذُعْرٍ أعْماها عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إلّا الجَرْيَ إلى الأمامِ ، وَ وَراءَها رُعاةُ عَبْسٍ يَصيحونَ كَالمَجانينِ وَهُمْ

يَدُقّونَ فَوْقَ قِطَعٍ مِنَ الحَديدِ وَ الصَّفيحِ ، وَ يُلَوِّحونَ بِمُلاءاتٍ مُمَزَّقَةٍ ، وَ يَضْرِبونَ بِالصُّخورِ وَ العِصِيِّ ، وَ وَسَطَهُمْ فارِسٌ فَوْقَ جَوادِهِ يَحْمِلُ سَيْفَهُ مُلَوِّحًا بِهِ في الهَواءِ وَهُوَ يَصْرُخُ صَرَخاتٍ مُفْزِعَةً .

وَ تَعالَتْ صَرَخاتُ الرِّجالِ وَ الخَيْلُ تَضْرِبُها بِسَنابِكِها ، وَ قَفَزَتْ خُيولُهُمْ فَأَفْلَتَتْ أَلْجِمَتُها مِنْ أَيْديهِمُ المَذْعورَةِ ، وَالقَطيعُ يَجْرُفُهُمْ أَمامَهُ كَالسَّيْلِ ، كَحائِطٍ سَميكٍ مِنَ اللَّحْمِ وَ العَظْمِ وَ الحَوافِرِ الَّتي تَدُكُّ الأَرْضَ دَكًّا تَجْعَلُها تَهْتَزُّ وَ تَرْتَجِفُ ، وَ تُثيرُ الغُبارَ حَوْلَها وَ حَوْلَهُمْ . وَ أَخَذَ « عامِرُ ابْنُ زَيْد » بِمِقْوَدِ جَوادِهِ في عُنْفٍ، وَ هُوَ يَرى رِجالَهُ يَتَساقَطونَ وَ يَتَحَطَّمونَ تَحْتَ أَقْدامِ هَذا الهَوْلِ الزّاحِفِ ، وَ وَثَبَ عَلى صَهْوَةِ جَوادِهِ ، وَ لَكِنَّهُ ما كادَ أَنْ يَلْتَفِتَ حَوْلَهُ حَتّى رَأى السَّيْفَ في يَدِ « عَنْتَرَةَ » يَهْوي لِيَشُجَّ رَأْسَهُ ، وَ تَغيمُ الرُّؤْيَةُ مِنْ حَوْلِهِ ، وَ يَسْقُطُ مِنْ جَديدٍ تَحْتَ أَقْدامِ الخَيْلِ المَذْعورَةِ وَ الإِبِلِ الثّائِرَةِ . وَ لَمّا دَخَلَتِ الحَيَواناتُ المَذْعورَةُ الوادِيَ مُنْدَفِعَةً ، لَمْ يَعُدْ فَوْقَ أَرْضِ الوادي غَيْرُ أَجْسادِ الفُرْسانِ المُحَطَّمَةِ وَ بَعْضِ الخُيولِ المَقْتولَةِ ، وَ حَيَواناتٍ جَريحَةٍ تَمْلأُ الجَوَّ بِأَصْواتِ شَكاواها .

وَ صاحَ « عَنْتَرَةُ » في « شَيْبوب » وَ « جَرير » اللَّذَيْنِ أحاطا بِهِ وَ مَعَهُما باقي العَبيدِ : « أسْرِعوا وَ ارْتَدوا مَلابِسَ هَؤُلاءِ الفُرْسانِ ، وَ احْمِلوا أسْلِحَتَهُمْ ، وَ ارْكَبوا الخُيولَ ، وَ حاصِروا هَذا القَطيعَ ، وَ عُودوا بِهِ ، وَ ادْفَعوهُ دَفْعًا إلى الحِلَّةِ ، وَ زيدوا مِنْ خَوْفِ الماشِيَةِ وَ الخُيولِ؛ اُصْرُخوا بِأعْلى أصْواتِكُمْ . أمّا « جَريرٌ » وَ « شَيْبوبٌ » وَ خَمْسَةٌ مِنْكُمْ – فَلْيَتْبَعوني بَعيداً عَنِ القَطيعِ المَذْعورِ . سَنَدْخُلُ الحِلَّةَ مِنْ جانِبِها الأيْمَنِ لِنُذيقَ الفُرْسانَ طَعْمَ سِهامِنا .»

صاحَتْ « زَبيبَةُ » وَ هِيَ تَجْري نَحْوَهُ خارِجَةً مِنْ مَخْبَئِها في جَنْبَةِ الجَبَلِ : « وَ لكِنَّ القَطيعَ المَذْعورَ سَيُحَطِّمُ كُلَّ دِيارِ الحِلَّةِ ، يا « عَنْتَرَةُ » .»

قالَ عَنْتَرَةُ : « لَنْ يَدْخُلَ القَطيعُ الشَّرَبَّةَ وَ العَلَمَ السَّعْدِيَّ ، وَ إنَّما سَيَمُرُّ أمامَها . سَيَدْهَمُ الغَديرَ وَ ما حَوْلَهُ حَيْثُ يَتْرُكُ الفُرْسانُ خُيولَهُمْ . وَ أنْتِ ، يا أُمُّ ، ارْكَبي ناقَةً مِنْ هَذِهِ ، وَ أسْرِعي وَراءَهُمْ حَيْثُ يَتْرُكُ الفُرسانُ خُيولَهُمْ .»

***

حينَ انْتَهَتِ المُقاوَمَةُ اليائِسَةُ الَّتي حاوَلَها الشُّيوخُ والعَجائِزُ وَ بَعْضُ الصِّبْيَةِ وَ النِّساءِ ، بِمَوْتِ أكْثَرَ مِنْ واحِدٍ وَجَرْحِ كُلِّ

المُقاوِمينَ جُروحاً أعْجَزَتْهُمْ عَن ِ الحَرَكَةِ ، تَرَكَ الفُرْسانُ خُيولَهُمْ عِنْدَ الغَديرِ ، وَ أخَذوا يَدْخُلونَ الدّورَ داراً داراً ، يُخْرِجونَ مِنْها النِّساءَ الفارّاتِ ، وَ الصَّبِيّاتِ المَذْعوراتِ ، وَيُقَيِّدونَهُنَّ عِنْدَ مَداخِل ِ الدّورِ داراً داراً ، ثُمَّ يَحْمِلونَ كُلَّ النَّفائِس ِ وَ الأمْوالِ وَ الذَّهَبِ و الفِضَّةِ الَّتي يَجِدونَها داخِلَ الدّورِ ، وَ يُكَوِّمونَها إلى جِوارِ النِّساءِ المُقَيَّداتِ وَهُمْ يَتَبادَلونَ النِّكاتِ وَ التَّعْليقاتِ القَبيحَةَ ، وَ قَدِ اسْتَخَفَّهُمُ الطَّرَبُ بِما أحْرَزوا مِنْ نَصْرٍ سَهْلٍ .

صاحَ « وَضّاحُ بْنُ القَيْصَرِ » ، قائِدُهُمْ في الحَمْلَةِ عَلى الحِلَّةِ ، وَ هُوَ يَضْحَكُ وَ يَأكُلُ فَخِذاً مِنَ الشِّواءِ الَّذي كانَ مُعَدًّا لِطَعام ِ النِّساءِ : « اِنْتَظِروا حَتّى يَرى ‹‹عامِرُ بْنُ زَيْد›› هَذِهِ الغَنائِمَ . هَذا حَقًّا يَوْمٌ لَنا عَلى عَبْس ٍ لَنْ تَنْساهُ أبَداً .»

وَ أخَذَ يَجولُ بِبَصَرِهِ في مَداخِل ِ الدّورِ حَوْلَهُ ، وَ هُوَ يَقولُ: « وَ كُلُّ هَؤُلاءِ النِّسْوَةِ ، وَ هَذِهِ الصَّبِيَّةُ النّافِرَةُ ، لَقَدْ دَوَّخَتْني حَتّى أسَرْتُها ، وَ لَكِنَّها نِعْمَ الغَنيمَةُ ، لَوْ لَمْ أفُزْ بِشَيْءٍ غَيْرِها لَكَفاني .»

وَ أخَذَ يَضْحَكُ ، وَ هُوَ يُشيرُ بِعِظام ِ الفَخِذِ في يَدِهِ ناحِيَةَ « عَبْلَةَ » المَذْعورَةِ ، المُكَوَّمَةِ بِشَعْرِها المَحْلولِ فَوْقَ كَتِفَيْها إلى

جِوارِ أسْماءَ . وَ هَمَسَتْ « عَبْلَةُ » : « لَوْ لَمْ يَأخُذْ هَذا المَخْلوقُ السِّكّينَ مِنْ يَدي عَنْوَةً لَقَتَلْتُ نَفْسي .»

هَمَسَتْ « أسْماءُ » : « وَ كُنّا نُعايِرُ ‹‹ زَبيبَةَ ›› بِأنَّها جارِيَةٌ أسيرَةٌ . ها نَحْنُ نَلْقى نَفْسَ المَصيرِ . تُرى أيْنَ أنْتِ ، يا ‹‹ زَبيبَةُ ›› ؟»

هَمَسَتْ « عَبْلَةُ » : « وَ أيْنَ أنْتَ ، يا ‹‹ عَنْتَرَةُ ›› ؟»

وَ كَأنَّها في اسْتِجابَةٍ لِسُؤالِها اهْتَزَّتِ الأرْضُ بِعُنْفٍ وَ امْتَلأَ الجَوُّ بِصَرَخاتٍ ، وَ صَهيلٍ وَ ثُغاءٍ وَ رُغاءٍ ، وَاكْفَهَرَّتِ السَّماءُ مِنْ سَحاباتِ الغُبارِ الَّتي عَلَتِ الحِلَّةَ ، وَمَوْجٍ هائِلٍ مُخيفٍ مِنَ الماشِيَةِ يَنْدَفِعُ بِعُنْفٍ نَحْوَ الحِلَّةِ . وَ صاحَ « وَضّاحُ ابْنُ القَيْصَرِ » : « الماشِيَةُ أجْفَلَتْ ، أسْرِعوا إلى خُيولِكُمْ .»

وَ هَرْوَلَ الرِّجالُ إلى حَيْثُ رَبَطوا خُيولَهُمْ فَتَلَقّاهُمْ وابِلٌ مِنَ السِّهامِ المُحْكَمَةِ التَّصْويبِ ، وَ أحْدَثَتْ هَذِهِ السِّهامُ اضْطِراباً بَيْنَهُمْ ؛ إذْ حالَتْ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الجِيادِ . وَ قَبْلَ أنْ يُفيقوا مِنِ اضْطِرابِهِمْ كانَتِ الماشِيَةُ المَذْعورَةُ تَدْهَمُهُمْ في عُنْفٍ ، فَتَساقَطَ عَدَدٌ مِنْهُمْ تَحْتَ أقْدامِها ، في حينَ أسْرَعَ الباقونَ يُحاوِلونَ النَّجاةَ بِالاخْتِباءِ في بُيوتِ الحِلَّةِ . وَ خَرَجَ « عَنْتَرَةُ » عَلى رَأسِ العَبيدِ المُسَلَّحينَ يَبْحَثونَ عَنْهُمْ ، وَ دَلَّتْهُنَّ

النِّساءُ المُقَيَّداتُ عَلى أبْوابِ الدّورِ عَلى أماكِنِ اخْتِفائِهِمْ ، وَ اقْتَحَمَ العَبيدُ الغاضِبونَ الدّورَ الّتي لَجأَ إلَيْها الغُزاةُ لِيَقْبِضوا عَلَيْهِمْ .

وَ كانَ « وَضّاحُ بْنُ القَيْصَرِ » يَرْقُبُ هَذا مِنْ زاوِيَةٍ إلى جِوارِ بَيْتِ « مالِكِ بْنِ قُراد » ، وَ قَدِ امْتَلأَ قَلْبُهُ بِالغَضَبِ وَالخَوْفِ وَ الدَّهْشَةِ مَعاً . وَ ما إنْ مَرَّ مِنْ أمامِهِ أحَدُ الخُيولِ المُسْرَجَةِ حَتّى أسْرَعَ يُمْسِكُ بِهِ بِيَدٍ مِنْ حَديدٍ ، ثُمَّ جَرَّهُ مَعَهُ إلى حَيْثُ جَلَسَتْ « عَبْلَةُ » مُقَيَّدَةً ، فَحَمَلَها وَ هِيَ تَصْرُخُ وَتُقاوِمُ ، وَ وَضَعَها أمامَهُ فَوْقَ الجَوادِ ، وَ أسْرَعَ يَجْري بِها مُغادِراً مَكانَ المَعْرَكَةِ بِكُلِّ ما في الجَوادِ مِنْ سُرْعَةٍ ، في حينَ أخَذَتْ « أسْماءُ » تَصْرُخُ وَ تُوَلْوِلُ ، وَ قَيْدُها يَمْنَعُها عَنِ الحَرَكَةِ .

وَ خَرَجَ « عَنْتَرَةُ » مِنَ الطَّريقِ المُقابِلِ وَ قَدْ تَلَطَّخَ سَيْفُهُ بِالدَّمِ ، وَ امْتَلأَ وَجْهُهُ بِالتُّرابِ وَ العَرَقِ ، فَرَأى « أسْماءَ » وَ هِيَ تُوَلْوِلُ وَ تَصْرُخُ ، وَ حَلَّ « عَنْتَرَةُ » وِثاقَها وَ هِيَ تَصيحُ بِهِ : « لا عَلَيْكَ بي ، أسْرِعْ .. «« عَبْلَةُ »» .. اخْتَطَفَها فارِسٌ وَهَرَبَ .» وَما إنْ تَخَلَّصَ ذِراعُها مِنَ الوِثاقِ حَتّى أشارَتْ إلى حَيْثُ اخْتَفى الفارِسُ وَ الفَرَسُ وَ عَبْلَةُ : « مِنْ هُنا .. أسْرِعْ ..

أسْرِعْ .»

وَ لَمْ يَكُنْ « عَنْتَرَةُ » يَحْتاجُ إلى إضافَةٍ جَديدَةٍ ، فَأسْرَعَ يَقْفِزُ فَوْقَ جَوادٍ عابِرٍ ، وَ يَنْدَفِعُ إلى حَيْثُ أشارَتْ أسْماءُ ، الَّتي أخَذَتْ تَبْكي وَ تُهيلُ التُّرابَ فَوْقَ رَأسِها وَ هِيَ تَنوحُ قائِلَةً: « أيْنَ أنْتَ ، يا «« مالِكُ »» ؟ أيْنَ أنْتَ ، يا «« شَدّادُ »» ؟ ضاعَتْ «« عَبْلَةُ »» .»

وَ أحَسَّتْ بِيَدٍ تُرَبِّتُ في حَنانٍ عَلى ظَهْرِها فَرَفَعَتْ رَأسَها لِتَرى « زَبيبَةَ » مُغَبَّرَةً مُعفَّرَةً ، وَ هِيَ تَنْحَني فَوْقَها وَ في عُيونِها تَساؤُلٌ وَ خَوْفٌ ، وَ كَأنَّما هِيَ تَخْشى أنْ تَسْمَعَ ما سَتَقولُهُ « أسْماءُ » ، الَّتي ما إنْ رَأتْها حَتّى انْدَفَعَتْ تَبْكي مِنْ جَديدٍ وَ هِيَ تَقولُ بَيْنَ نَشيجِها وَ أنْفاسِها المُتَقَطِّعَةِ : « لَمْ أجِدْ إلّا الصَّبِيَّ «« عَنْتَرَةَ »» ، وَ قَدْ هَرْوَلَ وَراءَ مُخْتَطِفِها . «« عَبْلَةُ »» .. سَيِّدَةُ بَناتِ عَبْسٍ ، اخْتَطَفَها الكَلْبُ وَضّاحُ بْنُ القَيْصَرِ وَ هَرَبَ .»

قالَتْ « زَبيبَةُ » : « وَ «« عَنْتَرَةُ »» وَراءَهُ ؟»

صاحَتْ « أسْماءُ » : « وَ ما «« عَنْتَرَةُ »» وَ هَذا الأميرُ . أيْنَ أنْتَ ، يا «« مالِكُ بْنُ قُراد »» ، لِتَرى ما حَلَّ بِابْنَتِكِ .»

هَمَسَتْ « زَبيبَةُ » ، وَ في نَظَراتِها سُهومٌ وَ شُرودٌ :

« « عَنْتَرَةُ » الصَّبِيُّ العَبْدُ ، هُوَ الَّذي دَحَرَ بَني قَحْطانَ ، وَهُوَ الَّذي حَمى الحِلَّةَ ، وَ هُوَ الَّذي سَيَعودُ « بِعَبْلَةَ » . اليَوْمَ تَعْرِفونَ مَنْ هُوَ « عَنْتَرَةُ » .»

« عَنْتَرَةُ » يُبارِزُ القائِدَ « وَضّاح »

لَمْ يَكُن ِ الجَوادُ الَّذي قَفَزَ « عَنْتَرَةُ » إلى ظَهْرِهِ مُسْرَجًا ، وَ لَكِنَّ عَنْتَرَةَ كانَ قَدْ تَعَوَّدَ عَلى رُكوبِ الخَيْل ِ دونَ سَرْج ٍ في مِرانِهِ الدّائِم ِ في المَرْعى ، وَ لِهَذا فَهُوَ لَمْ يُلْقِ بالاً إلى غِيابِ السَّرْج ِ وَ اللِّجام ِ ؛ إذْ كانَ يَسْتَطيعُ أنْ يُوَجِّهَ حَرَكَةَ الجَوادِ بِعَقِبَيْهِ وَ رُكْبَتَيْهِ ، وَ اسْتَطاعَ بِهَذا أنْ يَنْدَفِعَ بِهِ كَالسَّهْم ِ وَراءَ الجَوادِ الهارِبِ الَّذي يَحْمِلُ « وَضّاحَ بْنَ القَيْصَرِ » ، وَ أسيرَتَهُ « عَبْلَةَ » .

وَ لَمْ يَكُنْ « وَضّاحٌ » مُتَمالِكًا لِنَفْسِهِ تَمامًا ، فَها هُوَ في قِمَّةِ النَّصْرِ عَلى عَبْس ٍ ، يَتَوَقَّعُ قُدومَ المالِ الَّذي جَمَعَهُ « عامِرُ ابْنُ زَيْد » مِنْ مَراعي عَبْس ٍ ، وَ قَدْ تَكَوَّمَتْ مِنْ حَوْلِهِ الأمْوالُ وَ النَّفائِسُ وَ الحُلِيُّ وَ النِّساءُ ، وَ إذا بِكُلِّ شَيْءٍ فَجْأَةً يَنْهارُ وَ يَتَغَيَّرُ ، وَ ها هُوَ ذا يَجْري وَحْدَهُ وَ قَدْ تَرَكَ كُلَّ فُرْسانِهِ ، إمّا قَتْلى وَ إمّا جَرْحى وَ إمّا أسْرى ، وَالجَوادُ الَّذي يَرْكَبُهُ نافِرٌ لا يَهْدَأُ وَ كَأَنَّما يُريدُ أنْ يَرْمِيَهُ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِهِ ، وَ الفَتاةُ أمامَهُ تَضْرِبُ بِقَدَمَيْها وَ يَدَيْها رَغْمَ ما يُكَبِّلُها بِهِ مِنْ قُيودٍ ، وَ هِيَ لا

تَكُفُّ عَنِ الصُّراخِ وَالبُكاءِ وَ العَويلِ .

وَ انْطَلَقَتْ مِنْ فَمِهِ لَعَناتٌ يَصُبُّها عَلى كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَقَدْ كانَ مُتَأَكِّداً مِنْ أَنَّ الحِلَّةَ وَ المَراعِيَ خالِيَةٌ مِنْ فُرْسانِ بَني عَبْسٍ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ حَمْلَتَهُ هَذِهِ ، بَلْ لَقَدْ أَرْسَلَ الشَّواهِدَ الكاذِبَةَ لِلْمَلِكِ « قَيْس » تُغْريهِ بِمَضارِبِ بَني عَبْسٍ حَتّى تَخْلُوَ الحِلَّةُ مِنَ الفُرْسانِ ، ثُمَّ يَحْدُثُ هَذا . كَيْفَ حَدَثَ وَ أَيْنَ الخَطَأُ ؟

وَ قَبْلَ أَنْ يَجِدَ إِجابَةً عَلى سُؤالِهِ الحائِرِ ، الْتَقَطَتْ أُذُناهُ صَوْتاً دَلَّهُ عَلى أَنَّ هُناكَ مَنْ يَتَعَقَّبُهُ ، وَ مَلأَهُ الرُّعْبُ فَجْأَةً ، فَزادَ مِنْ سُرْعَةِ جَوادِهِ وَ هُوَ يَسُبُّ وَ يَلْعَنُ ، وَ رَفَعَ يَدَهُ يَصْفَعُ الفَتاةَ القابِعَةَ أَمامَهُ فَوْقَ السَّرْجِ ، فَفَقَدَتْ وَعْيَها وَ صَمَتَ صَوْتُها ، وَ تَمَكَّنَ أَنْ يَسْمَعَ بِوُضوحٍ الصَّوْتَ الآتِيَ مِنْ خَلْفِهِ فَتَأَكَّدَ أَنَّهُ صَوْتُ جَوادٍ واحِدٍ . وَ خَفَّ رُعْبُهُ بَعْضَ الشَّيْءِ وَ تَمالَكَ نَفْسَهُ ، فَلَوْ أَنَّ مَنْ يَتَعَقَّبُهُ كانَ فارِساً واحِداً فَالأَمْرُ هَيِّنٌ وَ بَسيطٌ ، فَهُوَ لا يَهابُ نِزالَ أَيِّ فارِسٍ مِنْ فُرْسانِ عَبْسٍ .

وَ نَظَرَ وَراءَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ يَضْحَكُ فَجْأَةً ؛ فَقَدْ كانَ الَّذي يَتَعَقَّبُهُ صَبِيًّا أَسْوَدَ يَرْكَبُ فَرَساً ضَخْماً عارِيَ الظَّهْرِ ، وَكانَ

الصَّبِيُّ يُلَوِّحُ بِسَيْفٍ في يَدِهِ . إذا كانَ هَذا هُوَ كُلَّ الخَطَرِ الَّذي يَتَهَدَّدُهُ فَقَدْ هانَ الأَمْرُ وَ أَصْبَحَتْ سَلامَتُهُ مُؤَكَّدَةً . وَ ضَحِكَ مِنْ جَديدٍ وَ هُوَ يُزيحُ الفَتاةَ مِنَ السَّرْجِ أمامَهُ لِتَقَعَ عَلى الأَرْضِ ، فَهُناكَ وَقْتٌ كافٍ لإنْهاءِ هَذا الصَّبِيِّ ، وَ عَوْدَتِهِ إلَيْها ، ثُمَّ امْتَشَقَ سَيْفَهُ ، وَ عادَ مُسْرِعًا لِيَنْتَهِيَ مِنْ أمْرِ هَذا الصَّبِيِّ الأَسْوَدِ المَجْنونِ ، الَّذي ظَنَّ أَنَّهُ يَسْتَطيعُ أنْ يَتَعَقَّبَ « وَضّاحَ بْنَ القَيْصَرِ » فارِسَ بَني قَحْطانَ الَّذي يَهابُ لِقاءَهُ أشْجَعُ الفُرْسانِ .

***

كانَتِ الدُّموعُ وَ الصَّرَخاتُ تَنْهَمِرُ مِنْ عُيونِ وَ حَلْقِ « عَبْلَةَ » دونَ أنْ تُحِسَّها ؛ فَما كانَتْ تُريدُ أنْ تَبْكِيَ أوْ تَصْرُخَ ، كانَتْ شَجاعَتُها المَوْروثَةُ تَمْنَعُها مِنْ هَذا ، وَ كانَ اعْتِزازُها بِكَرامَتِها يَأبى عَلَيْها أنْ تَتَهاوى هَكَذا ، وَ لَكِنَّها كانَتْ تَعْرِفُ اليَأسَ في أقْصى مَراحِلِهِ ، فَها هِيَ ذي تُرْفَعُ في الهَواءِ وَ توضَعُ فَوْقَ سَرْجِ جَوادٍ ، وَ تُمْسِكُها يَدٌ غَليظَةٌ قَوِيَّةٌ وَ يَجْري بِها الجَوادُ ، وَ هَذا الرَّجُلُ المُرْعِبُ الَّذي كانَ مُنْذُ قَليلٍ يُلَوِّحُ بِضِلْعِ الغَنَمِ المَشْوِيِّ في يَدِهِ، يَحْمِلُها إلى المَجْهولِ .

وَ مَرَّتْ كُلُّ أحْداثِ حَياتِها السَّعيدَةِ أمامَ عَيْنَيْها : عِنايَةُ « أسْماءَ » ، رِعايَةُ « زَبيبَةَ » ، وَجْهُ أبيها الحَنونِ ، وَ وَجْهُ عَمِّها القاسي الَّذي يُخْفي خَلْفَهُ الحَنانَ وَ الحُبَّ ، ثُمَّ وَجْهُ « عَنْتَرَةَ » الَّذي يَرْفُضُ العُبودِيَّةَ . وَ ها هِيَ ذي الآنَ مَسوقَةٌ إلى نَفْسِ مَصيرِهِ وَرُبَّما أسْوَأ . وَ فَجْأَةً أحَسَّتْ أنَّ الجَوادَ الَّذي يَحْمِلُها يُسْرِعُ في جَرْيِهِ ، وَ أنَّ أنْفاسَ الرَّجُلِ خَلْفَها تَتَرَدَّدُ في عُنْفٍ مَعَ سُرْعَةِ الخَوْفِ وَ الذُّعْرِ . وَ مَلأَها الأمَلُ ، لَعَلَّ فُرْسانَ عَبْسٍ قَدْ وَصَلوا ، وَ لَعَلَّ النَّجْدَةَ آتِيَةٌ . وَ نَظَرَتْ وَراءَها فَرَأَتِ الصَّبِيَّ الأسْوَدَ فَوْقَ الفَرَسِ الضَّخْمِ يُلَوِّحُ بِسَيْفِهِ، فَهَمَسَتْ في ابْتِهالٍ وَ خَوْفٍ : « عَنْتَرَة !»

ثُمَّ أصابَتْها ضَرْبَةٌ قَوِيَّةٌ ، وَ أحَسَّتْ بِكُلِّ شَيْءٍ يَغيمُ حَوْلَها، وَ أنَّها تَسْقُطُ ، وَ تَسْقُطُ ، وَ تَسْقُطُ في فَراغٍ مُظْلِمٍ كَئيبٍ .

***

حينَ فَتَحَتْ « عَبْلَةُ » عَيْنَها مِنْ جَديدٍ ، عَرَفَتْ أنْ إغْماءَتَها لَمْ تَطُلْ ، وَ أنَّها قَدْ أُلْقِيَتْ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِ الجَوادِ؛ إذْ رَأتِ الفارِسَ الضَّخْمَ يَهْجُمُ بِفَرَسِهِ عَلى « عَنْتَرَةَ » وَ هُوَ يَرْفَعُ سَيْفَهُ في الهَواءِ بِساعِدِهِ القَوِيِّ ، وَ غاصَ قَلْبُها في صَدْرِها وَ قَدْ تَوَقَّعَتْ نِهايَةَ « عَنْتَرَةَ » ، وَ لكِنَّها رَأتِ الصَّبِيَّ يَدورُ

بِجَسَدِهِ إلى جانبِ الجَوادِ فَتَطيشُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ ، ثُمَّ يَعْتَدِلُ فَوْقَ جَوادِهِ لِيَقْفِزَ فَجْأَةً إلى صَدْرِ الرَّجُلِ فَيُطيحَ بِهِ مِنْ فَوْقِ جَوادِهِ لِيَسْقُطَ مُضَعْضَعَ الحَواسِّ فَوْقَ الأَرْضِ ، ثُمَّ رَأَتْ « عَنْتَرَةَ » يَقْفِزُ واقِفاً مِنْ فَوْقِ جَسَدِ الرَّجُلِ الطَّريحِ على الأَرْضِ ، ثُمَّ يَصْرُخُ صَرْخَةً وَحْشِيَّةً وَ هُوَ يَرْفَعُ سَيْفَهُ وَ يَهْوي بِهِ فَوْقَ عُنُقِ الرَّجُلِ الَّذي حاوَلَ أَنْ يَتَحَرَّكَ مِنْ مَكانِهِ ، لِيَجُزَّ السَّيْفُ رَأْسَهُ جَزًّا ، وَ تَنْفَجِرُ الدِّماءُ ، وَ يَتَرَنَّحُ الجَسَدُ ، وَ تَهْتَزُّ الرَّأْسُ في شَكْلٍ مُضْحِكٍ مُخيفٍ ، وَ « عَنْتَرَةُ » يَصْرُخُ ، وَ الجَوادُ يَصْهَلُ ، « وَزَبيبَةُ » تُنادي عَلَيْها مِنْ بَعيدٍ ، ثُمَّ فَقَدَتِ الصَّوابَ مِنْ جَديدٍ .

مَوْقِفُ المَلِكِ « زُهَيْر » مِنْ « عَنْتَرَة »

اِسْتَمَعَ المَلِكُ « زُهَيْرٌ » مِنْ زَوْجَتِهِ المَلِكَةِ « تُماضِر » إلى قِصَّةِ ما حَدَثَ في الحِلَّةِ وَ المَراعي أَثْناءَ غِيابِهِ هُوَ وَ فُرْسانِ عَبْسٍ ، في دَهْشَةٍ وَ ذُهولٍ . وَ ضَرَبَ كَفًّا بِكَفٍّ وَ هُوَ يَقولُ: « «« عَنْتَرَةُ »» يَفْعَلُ كُلَّ هَذا ؟»

وَ اسْتَأْنَفَتْ « تُماضِرُ » حَديثَها المُتَحَمِّسَ قائِلَةً : « وَ أَنْقَذَ «« عَبْلَةَ »» مِنْ مُخْتَطِفِها . لَقَدْ تَفَوَّقَ «« عَنْتَرَةُ »» عَلى «« وَضّاحِ بْنِ القَيْصَرِ »» فارِسِ بَني قَحْطانَ ، وَ قائِدِ غَزَواتِهِمْ عَلى دِيارِنا ، وَ قَدْ قَتَلَهُ أَيْضاً بِسَيْفِهِ وَ عادَ «« بِعَبْلَةَ »» فَوْقَ جَوادِهِ وَ جَسَدُهُ كُلُّهُ مُلَطَّخٌ بِالدِّماءِ ، وَأَعادَ حُزْنَنا فَرَحًا ، وَ صُراخَنا زَغاريدَ وَضَحِكاتٍ وَ بَهْجَةً .»

وَ هَزَّ المَلِكُ « زُهَيْرٌ » رَأْسَهُ ، وَ كَأَنَّهُ لا يَزالُ غَيْرَ مُصَدِّقٍ لِما يَسْمَعُ ، وَ قالَ : « مَجْموعَةٌ مِنَ العَبيدِ وَ الشُّيوخِ وَالصِّبْيَةِ ، يَقودُهُمْ هَذا الصَّبِيُّ ، يَفْعَلونَ كُلَّ هَذا بِفُرْسانِ بَني قَحْطانَ ؟»

ثُمَّ ضَحِكَ وَ هُوَ يَمُرُّ بِكَفِّهِ فَوْقَ لِحْيَتِهِ وَ قالَ : « اِنْتَظِري حَتّى يَسْمَعَ العَرَبُ بِهٰذا الأمْرِ . صِبْيَةُ بَني عَبْسٍ يَهْزِمونَ غُزاةَ بَني قَحْطانَ .»

ثُمَّ اسْتَخَفَّهُ الطَّرَبُ وَ جَعَلَ يَضْحَكُ مِنْ جَديد . وَ نَظَرَتْ إلَيْهِ « تُماضِرُ » في حِدَّةٍ وَ قالَتْ : « كُلُّ ما يَهُمُّكُمْ ، مَعْشَرَ رِجالِ عَبْسٍ ، هُوَ سُمْعَةُ عَبْسٍ وَ أمْجادُ عَبْسٍ ، أمّا هٰذا الصَّبِيُّ الَّذي صانَ هٰذِهِ السُّمْعَةَ وَ الأمْجادَ ، وَ حَمى الأعْراضَ وَ النِّساءَ ، فَلا شَأنَ لَهُ عِنْدَكُمْ .»

كَفَّ « زُهَيْرٌ » عَنْ ضَحِكِهِ ، وَ الْتَفَتَ إلى « تُماضِر » قائِلاً : « هٰذا الصَّبِيُّ في رِعايَتي مُنْذُ زَمَنٍ ، فَقَدْ أنْقَذَهُ « مالِكٌ » مِنَ المَوْتِ مَرَّتَيْنِ ، وَ وَقَفْتُ إلى جِوارِ « مالِك » وَإلى جِوارِهِ في كُلِّ مَرَّةٍ ، وَ كَأنَّني كُنْتُ أحِسُّ أنَّني أدَّخِرُهُ لِشَيْءٍ كَهٰذا .»

قالَتْ « تُماضِرُ » وَ هِيَ تُلَوِّحُ بِيَدَيْها كَأنَّما لِتُؤَكِّدَ كَلامَها : « لَنْ تَجِدَ امْرَأةً أوْ فَتاةً في عَبْسٍ كُلِّها اليَوْمَ ، لا تَتَصَوَّرُ فيهِ بَطَلَها الخاصَّ ، الَّذي أنْقَذَها مِنْ مَصيرٍ هُوَ أشَرُّ مِنَ المَوْتِ ، إنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ المَوْتَ ذاتَهُ .»

قالَ المَلِكُ « زُهَيْرٌ » : « سَأمْنَحُهُ جَواداً وَ عُدَّةَ فارِسٍ

كامِلَةً وَ سَيْفاً صَقيلاً مُهَنَّداً .»

قالَتْ « تُماضِرُ » : « أ تَظُنُّ هَذا يَكْفيهِ ؟ إنَّما يُريدُ حُرِّيَّتَهُ، تِلْكَ الحُرِّيَّةَ الَّتي مَنَحَها لَنا كُلَّنا بِشَجاعَتِهِ وَذَكائِهِ .»

تَنَهَّدَ المَلِكُ « زُهَيْرٌ » وَ قالَ : « هَذا مَتْروكٌ « لِشَدّاد »، فَهُوَ أبوهُ ، وَ هُوَ الَّذي يَمْلِكُ الأمْرَ كُلَّهُ .»

ألَحَّتْ « تُماضِرُ » قائِلَةً : « رُبَّما لَوْ ألْحَحْتَ عَلَيْهِ لاسْتَمَعَ إلى كَلامِكَ .»

تَنَهَّدَ المَلِكُ « زُهَيْرٌ » وَ هُوَ يَقولُ : « كُلُّ شَيْءٍ مُمْكِنٌ أنْ ألِحَّ فيهِ إلّا ما يُخالِفُ صَميمَ شَريعَةِ العَرَبِ . لا ، هَذا أمْرٌ لا يَحْكُمُ فيهِ إلّا « شَدّادٌ » وَحْدَهُ .»

***

قالَ « شَدّادُ بْنُ قُراد » في عَصَبِيَّةٍ : « أعْرِفُ ، أعْرِفُ .. هُوَ يَسْتَحِقُّ كُلَّ تَكْريمٍ ، وَ سَأجْعَلُهُ مُقَدَّماً عَلى كُلِّ عَبيدي، وَ رَئيساً عَلَيْهِمْ ، وَ سَأُقَرِّرُ لأُمِّهِ وَ إخْوَتِهِ مَكاناً كَريماً في الدّارِ. أ لا يَكْفي هَذا ؟»

قالَ الأميرُ « مالِكُ بْنُ زُهَيْر » : « هُوَ يُريدُ اعْتِرافَكَ بِهِ وَ بِأُبُوَّتِكَ لَهُ ، وَ لَنْ يُرْضِيَهُ إلّا هَذا .»

قالَ « مالِكُ بْنُ قراد » : « بَلْ ما عَرَضَهُ شَدّادٌ يَكْفي ؛ فَلا يَنْبَغي في لَحْظَةِ اعْتِرافٍ بِالجَميلِ أنْ نَنْسى تَقاليدَنا وَ شَريعَتَنا .»

قالَ الأميرُ « مالِكٌ » : « حَتّى بَعْدَ أنْ أنْقَذَ ابْنَتَكَ وَصانَ عِرْضَكَ وَ مالَكَ ، وَ مالَ عَبْسٍ كُلَّها .»

أطْرَقَ « مالِكُ بْنُ قُراد » في وُجومٍ ، وَ قالَ : « هُوَ يُريدُ أنْ يُرْغِمَنا عَلى مَنْحِهِ حُرِّيَّتَهُ ، وَ يَزْدادَ بِهَذا أمَلُهُ في « عَبْلَةَ » ؟ لا ، هَذا لَنْ يَكونَ أبَدًا ، أ سَمِعْتَ ، يا « شَدّادُ » ؟ لَوْ فَعَلْتَها ما عَرَفْتُكَ .»

ثُمَّ صَمَتَ وَ هُوَ يُديرُ عَيْنَيْهِ في الحاضِرينَ ، وَ قالَ : « وَ لَنْ يَغْفِرَها لَكَ أحَدٌ مِنْ عَبْسٍ . أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟ أخْبِروهُ .»

وَ أطْرَقَ الجَميعُ واجِمينَ ، وَ انْزَلَقَتْ أنْظارُهُمْ إلى الأرْضِ. وَ نَظَرَ إلَيْهِمْ « مالِكُ بْنُ زُهَيْر » ، ثُمَّ هَبَّ واقِفًا ، وَ جَمَعَ عَباءَتَهُ حَوْلَ جَسَدِهِ ، وَ قالَ : « ماذا تُريدونَ مِنْهُ أنْ يَفْعَلَ فَوْقَ ما فَعَلَ لِيُثْبِتَ أنَّهُ واحِدٌ مِنْكُمْ ؟»

وَ غادَرَ الجَلْسَةَ ، وَ قَدْ سادَها الوُجومُ وَ القَلَقُ وَ الصَّمْتُ

الخَجولُ .

***

قالَتْ أسْماءُ وَ هِيَ تَضُمُّ « عَنْتَرَةَ » إلَيْها في حَنانٍ ، وَ وَجْهُها كُلُّهُ يَضْحَكُ في بِشْرٍ : « أنْتَ أنْقَذْتَ حَياتي ، فَأنْتَ ابْني مِنَ الآنَ ، يا «« عَنْتَرَةُ »» .»

نَظَرَ إلَيْها « عَنْتَرَةُ » في دَهْشَةٍ وَ هُوَ يَقولُ : « أنْقَذْتُ حَياتَكِ ؟ لِماذا يا خالَةُ «« أسْماءُ »» ؟ لَقَدْ كُنْتِ سالِمَةً إلى جِوارِ بابِ الدّارِ .»

قالَتْ « أسْماءُ » وَ هِيَ تَضْحَكُ : « حينَ أنْقَذْتَ «« عَبْلَةَ »» أنْقَذْتَ حَياتي كُلَّها .»

ضَحِكَتْ « عَبْلَةُ » وَ هِيَ تَقولُ : « وَ لَنْ تَغْضَبي لأَنَّهُ يَسْقيني اللَّبَنَ قَبْلَكِ ؟»

وَ أخْفى « عَنْتَرَةُ » وَجْهَهُ خَجَلاً ، في حينَ ضَحِكَتْ « زَبيبَةُ » ، وَ قالَتْ « أسْماءُ » : « مِنَ الآنَ لَنْ يَشْرَبَ أحَدٌ اللَّبَنَ مِنْ يَدِهِ إلّا بَعْدَكِ أنْتِ ، يا «« عَبْلَةُ »» .»

قالَتْ « عَبْلَةُ » : « ما كُلُّ هَذا الحَماسِ المُفاجِئِ ؟ مَنْ يَسْمَعُكِ الآنَ لا يَعْرِفُ ماذا يُصَدِّقُ .»

قالَتْ « أسْماءُ » : « بَلْ صَدِّقيني . مِنَ الآنَ « عَنْتَرَةُ » في مَنْزِلَتِكِ عِنْدي ، يا « عَبْلَةُ » .»

ضَحِكَتْ « زَبيبَةُ » في سَعادَةٍ ، وَهِيَ تَرْقُبُ حُمْرَةَ الخَجَلِ تَغْزو وَجْهَ « عَبْلَةَ » ، وَ قالَتْ : « ما خُلِقَ « عَنْتَرَةُ » إلّا لِـ « عَبْلَةَ » .»

قالَ « عَنْتَرَةُ » : « كَفى ، يا أمُّ ، فَهَذا كلامٌ لا يُقالُ في حَضْرَةِ « عَبْلَةَ » .»

انْدَفَعَتْ « عَبْلَةُ » تَقولُ : « أنْتَ أنْقَذْتَ ما هُوَ أثْمَنُ مِنْ حَياتي ، يا « عَنْتَرَةُ » ، وَ لَنْ أخْجَلَ مِنْ كَلِماتِ خالَتي « زَبيبَةَ » .»

قالَ « عَنْتَرَةُ » : « حَتّى وَ أنا عَبْدٌ ؟»

وَ سادَ الوُجومُ الجَميعَ ، وَ قالَتْ « عَبْلَةُ » : « لَسْتَ عَبْدًا ، يا مُحَرِّرَنا كُلَّنا منَ العُبودِيَّةِ .»

وَ قالَتْ « أسْماءُ » : « مِثْلُكَ سَيَحْفُرُ اسْمَهُ في وُجودِ عَبْسٍ كُلِّها ، وَ لَنْ يَجْرُؤَ أحَدٌ أنْ يَحْرِمَكَ مِنْ حَقِّكَ .»

قالَتْ « عَبْلَةُ » : « وَ مِثْلُكَ لَنْ يَسْكُتَ عَنْ حَقِّهِ أبَدًا .»

قالَتْ « زَبيبَةُ » :« يَوْمًا ما، يا بُنَيَّ ، سَتَكونُ سَيِّدًا وَ حُرًّا ؛

لأنَّ نَفْسَكَ نَفْسُ سَيِّدٍ وَ حُرٌّ .»

هَمَسَ « عَنْتَرَةُ » : « يَوْمًا ما سَيَعْرِفُني الجَميعُ بِاسْمِ «« عَنْتَرَةَ بْنِ شَدّاد »» .»

قالَتْ « عَبْلَةُ » وَ في عَيْنَيْها تَأَلُّقٌ ، وَ في وَجْهِها حُمْرَةٌ ، وَ عَلى شَفَتَيْها وَعْدٌ: « «« عَنْتَرَةُ بْنُ شَدّادٍ »» فارِسُ بَني عَبْسٍ ، وَ سَيِّدٌ مِنْ ساداتِ العَرَبِ ، يَفْخَرونَ بِهِ وَ بِأَفْعالِهِ ، وَ أَفْخَرُ أَنا بِهِ وَ بِأَمْجادِهِ .»

الينابيع تتفجر من التراث العربي الأصيل ، ومن السير الشعبية الغنيّة ، ومن الحكايات الشعبية العربيّة ؛ لتصوّر نماذج مضيئة من تراثنا ، وتعرض قيما مشرقة في حياتنا : تمزج بين الجد والفكاهة في لغة هادئة راقية : لا تعلو فتعوق القارئ وتصده ، ولا تسفّ فتهبط بذوقه ومستواه ، وإنما تمتع وجدانه وقلبه ، وتثري فكره وعقله .

الينابيع

١– سيف الإحسان وقصص أخرى .
٢– حبات العقد وقصص أخرى .
٣– عنترة بن شداد : مولد البطل .
٤– عنترة بن شداد : عبلة والصبي المقاتل .
٥– الباحث عن الحظ وقصص أخرى .

Bibliotheca Alexandrina
0295263

يطلب من : شركة أبو الهول للنشر
٣ شارع شواربي بالقاهرة ت : ٣٩٣٥٦٠٨ ؛ ٤٦١٦
١٢٧ طريق الحرية (فؤاد سابقا) – الشلالات ، الإسكندرية ت : ٤٩٢٤٨٣٩